القيم الأخلاقية والحضارية في سيرة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) في المصادر الإسلامية

عائدة محمد عبيد *

تأريخ التقديم: 2019/11/11 تأريخ القبول: 2019/11/26

المستخلص :

أرسل الله سبحانه وتعالى النبي محمد (ﷺ) مصدقاً للرسل من قبل وأنزل عليه القرآن مؤيداً للكتب المنزلة، وبهذا نرى أن الإسلام يوقر السيدة مريم العذراء (عليها السلام)، والمسلمون يؤمنون بما جاء في القرآن الكريم عنها وعن ابنها عيسى (عليه السلام). فقد اهتمت المصادر الإسلامية كثيراً بسيرة السيدة مريم (عليها السلام).

وفي هذا البحث سوف نبين القيم الأخلاقية والتربوية والحضارية في سيرة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) من خلال ما ذُكر في المصادر الإسلامية، لأن القيم الأخلاقية تمثل المثل العليا في كل الحضارات البشرية بمختلف ثقافاتها ومعتقداتها على امتداد التاريخ الإنساني. وتاريخ الإسلام حافل بالتفاعل مع غيره من الحضارات. لان حضارة الإسلام حضارة عالمية.

قسم البحث على عدة مباحث تناولت كل تفاصيل حياتها (عليها السلام) التي وردت في المصادر الإسلامية .

الكلمات المفتاحية : حضارة؛ طهارة؛ محبة

تمهيد:

جاءت الرسالات السماوية لتحث الناس على الالتزام بالأخلاق، والإسلام يعتبر الأخلاق عنواناً له ولحضارته. إذ تمثل الأخلاق الجانب المعنوي والتربوي في الحضارة الإسلامية، التي قامت في الأساس على القيم الأخلاقية، وقد حدد الرسول (ﷺ) الغاية الأولى

* أستاذ مساعد / قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل .

من بعثته بقوله: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [1]، فبهذه الكلمات حدد الرسول(ﷺ) الغاية من بعثته أنه يريد أن يتمم مكارم الأخلاق في نفوس أمته والناس أجمعين ويريد للبشرية أن تتعامل بقانون الخُلق الحسن الذي ليس فوقه قانون، ووصف الله سبحانه وتعالى رسوله بأنه على خلق عظيم كما جاء بقوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]،

فالأخلاق هي مجموع المفاهيم والقيم والتصورات والعقائد والقوانين والمبادئ والعادات التي تشكل سلوكاً معيناً ومحدداً عند الإنسان فتحدد له طريقة معينة في العيش والحياة والحكم والتعامل مع الآخرين، فسلوك الإنسان هو الحضارة وهو نتاج المفاهيم والتصورات الحضارية التي ينتمي لها ويعتقد بها والإنجاز العلمي دليل وجود هذه المفاهيم والقيم الحضارية لأي شعب من الشعوب، وبغض النظر عن الاختلاف بين العقائد والمذاهب؛ لان القيم الأخلاقية تمثل محور المقاصد الإسلامية. فضلا عن ان القيم والأخلاقيات والمبادئ الدينية ضرورة مهمة لبناء المجتمع السليم

ويقصد بالقيم الأخلاقية، المعايير والموازين الموجهة لحركة الإنسان والضابطة والحاكمة للفعل الحضاري، بكل تنوعاته وامتداداته، وفق رؤية الإسلام ومقاصده [3]

وتاريخ الإسلام حافل بالتفاعل مع غيره من الحضارات لأنه دين قائم على أساس التسامح والانفتاح مع الآخر فضلاً عن العديد من المزايا التي ميزته عن غيره من الديانات، ويعد الدين الإسلامي نظاما اجتماعيا وحضارياً شاملا لكل جوانب الحياة وقضايا المجتمع، فهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الأمور الدينية والدنيوية إلا بينها ووضع لها القواعد والأسس التي تحكمها وتنظمها، سواءٌ كانت ظاهرة دينية أم ظاهرة دنيوية اجتماعية. فهو لا يترك أي جانب من هذه الجوانب بلا تنظيم وإحكام. إنما كل شيء فيه موضح ومفصل تفصيلا عاما تارة

---

(1) محمد زكريا الكاندهلوي : أوجز المسالك لموطأ مالك، ط:3، دار الفكر، بيروت لبنان: 1980م)، 14/ 132 .

(2) سورة القلم/ الآية 4 .

(3) محمد عبد الفتاح الخطيب، القيم الحضارية في الإسلام، (القاهرة: 2011)، 48.

وتفصيلا دقيقا تارة أخرى لقوله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمد (ﷺ) مصدقاً للرسل من قبل وأنزل عليه القرآن مؤيداً للكتب المنزلة، ولا يصح ايمان بغير إيمان بالأنبياء السابقين، وبما أنزل الله عليهم من كتب ويظهر لنا ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3]، لذلك فالمسلمون يعتقدون بنبوة ابراهيم ويعقوب وموسى وعيسى والباقين من الرسل، يحبونهم وينزهون نسب عيسى عليه السلام، والإسلام ليس فيه اتهام أو تعصب أو تهجم لنبي او رسول وهو لا يحارب اليهودية ولا النصرانية ولا يحقد عليهما؛ لأنه دين السماحة والسلم والتسامح ودين القيم الأخلاقية والحضارية في دعوته ورسالته.

ومما يميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات وفي مقدمتها الحضارة الغربية أن الحضارة الإسلامية ربانية المصدر, إذ أن جميع قيمها الحضارية مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله(ﷺ).

وبهذه القيم والمفاهيم نرى أن الإسلام يوقر السيدة مريم العذراء (عليها السلام)، والمسلمون يؤمنون بما جاء في القرآن الكريم عنها، من طهارتها، وزكاتها، وبراءتها مما رماها به أعداء الله؛ فقد تعرضت (عليها السلام) لاتهامات بالزنا سواء حال حياتها أو بعد وفاتها، فنحن نقرأ على سبيل المثال رمي اليهود بالكفر في معرض توبيخهم لاتهامهم السيدة مريم (عليها السلام) بالزنا، قال تعالى: ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا**﴾[4]

(1) سورة يس/ الآية، 12.

(2) سورة البقرة/ الآية، 136.

(3) سورة البقرة/ الآية،285.

(4) سورة النساء/ الآية، 156.

والسيدة مريم (عليها السلام) من أهم الشخصيات النسائية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، فهي من النساء الصالحات القانتات العابدات، ورد ذكرها في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله (ﷺ)، فعن ابن عباس قال: قال النبي (ﷺ) "أفضل نساء الجنّة أربعة: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون"[(1)].

ووصفت من أهل الإيمان، فهي مؤمنة كاملة الإيمان والتوحيد والطاعة لله, وقد ذُكرت في القرآن الكريم باسمها الصريح دون غيرها من النساء, وأَفْرَدَ الله لها سورة سميت باسمها (سورة مريم) تحكي معظم تفاصيل قصتها، وهي السورة الوحيدة في القرآن المسماة باسم امرأة. ويرتبط اسمها ارتباطاً وثيقاً في أذهان الناس باسم السيد المسيح (عليه السلام)، الذي جُعل آية للناس إذ خُلق من أُنثى بلا ذكر شأنه في عجب الخلق شأن آدم (عليه السلام)، الذي لم يُخلق من ذكرٍ ولا أُنثى، وكذلك حواء (عليها السلام) التي خلقت من ذكرٍ بلا أُنثى. فإن فضل السيدة مريم العذراء 0عليها السلام) وتسليط الضوء على تفاصيل حياتها في المصادر الإسلامية، من الأمور التي تدهش العقول، وتذهل الألباب.

وتطرق القرآن الكريم وسائر المصادر الإسلامية إلى ولادة السيدة مريم (عليها السلام) بالتفصيل, حيث نلاحظ روعة القصص القرآني وما تخلله من إعجاز إلهي وبركة ربانية تدل على مكانة السيدة مريم(عليها السلام) الرفيعة السامية عند الله تعالى وتحتوي على كثير من العبر التربوية وتعد أنموذج القيم الأخلاقية. وأن الله جعلها وابنها النبي عيسى (عليهما السلام) آية للعالمين رداً على ذلك.

يذكر القرآن الكريم للسيدة مريم (عليها السلام) الكثير من الصفات الحميدة والأخلاق السامية ومن أهمها العفة المطلقة, ويقر لها صراحة بان الله تعالى طَهَّرَها واصطفاها على نساء العالمين، فالمصادر الإسلامية تسرد قصتها بشكل رائع اعتماداً على كلام الله المنزل على نبي الرحمة سيدنا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك لا نجد أي تبدل في الرؤية الإسلامية

---

(1) أحمد بن محمد ابن حنبل، مسند أحمد، (مصر: د.ت)، رقم الحديث (2960)، 1، /322. يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق:: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، (بيروت 1412هـ)، 4، ص273؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء، (دمشق، 1359هـ)، 1/ 275.

في هذا المجال على مر العصور؛ لأنها تعتمد على القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وأقوال العلماء.

ومنذ طفولتي كانت تستهويني شخصية السيدة مريم العذراء (عليها السلام)، لما تحمله من معان تربوية وأخلاقية وحضارية، ولهذا فإنَّ دراسةَ موضوعِ السيدةِ مريمَ العذراء (عليها السلام) غايةٌ في الأهميةِ لما لهذه الشخصيةِ العظيمةِ من دورٍ مهمٍ في رسالةِ سيدنا المسيح عيسى(عليه السلام) وفي احداث التاريخ. وفي هذا البحث سوف نبين القيم الأخلاقية والتربوية والحضارية في سيرة هذه الشخصية العظيمة من خلال ما ذُكر في المصادر الإسلامية.

والكتابة في هكذا مواضيع هي للاطلاع على سير السلف من الشخصيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم من أهل الصلاح والتقى، فإذا أطلعنا على سيرهم وتأملنا أخلاقهم وصفاتهم اندفعت همتنا نحو الاقتداء بهم. قال تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ [1]، ومن قيم القصص القرآني ليثبت الله بها قلوب أوليائه وموعظة وذكرى لهم، قال تعالى: ﴿**وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [2] وتعد سيرهم عبرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [3]

ومن أهمِّ أهدافِ هذا البحث بيانُ مكانةِ السيدة مريم العذراء (عليها السلام) وما تحمله من قيم أخلاقية لاسيما حياؤها الشديد، وبيان منزلتِها عندَ المسلمينَ بشكلٍ عام, المنزلةَ المتأتيةَ مما اختصها الله تعالى به من عناية وفضل. كخطوةٍ لدحضِ وتكذيبِ ما يثارُ من قبلِ هذه الفئةِ أو تلك من شبهات في أن الدينَ الإسلامي لا يهتم بما سبقه من الرسالات السماوية، أو إنه يقف موقفَ الضدِّ منها ولا يخفى ما في هذا من بيان لعظمة الدين وعالمية العقيدة الإسلامية وحضارتها وسلامتِها مِنَ التحريفِ والتزييف. ودليل على أن الدين الإسلامي منفتح على الحضارات الأخرى. ومن الدوافع والأسباب لاختيار هذا الموضوع فضلاً عما تقدم ذكره ، هو ما

(1) سورة الأنعام، الآية/90.

(2) سورة هود، الآية/ 120.

(3) سورة يوسف، الآية/ 111.

وصلت اليه امتنا الإسلامية في الوقت الحاضر من ضعف وابتعاد عن القيم الأخلاقية أوجد في داخلي رغبة شديدة للرجوع الى تراثنا الإسلامي والبحث والكتابة في هكذا مواضيع والتي مازالت صورتها حية في نفوسنا، فقد تعمقت الرغبة في النفس نحو البحث والدراسة في هذا الحقل الحضاري الإسلامي المهم. ولإطلاع الأديان الأخرى، لاسيما المسيحيين على عقيدة المسلمين في مريم وابنها المسيح (عليهما السلام) حيث لاحظت من خلال مناقشتي مع بعض المسيحيين، يظنون أننا غير مهتمين بسيرة السيدة مريم والنبي عيسى (عليهما السلام)، فلما أطلعتهم على كلام الله المذكور في القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ) في المسيح وأمه قالوا لي بصراحة لم نكن نعلم هذه التفاصيل الدقيقة والاهتمام بهذه الدرجة؛ وهذا ما شجعني أكثر للاهتمام بهذا البحث.

وعند جمع مادة البحث، واجهت صعوبةً في الحصولِ على المصادر والمراجع، لاسيما المصادر المسيحية، لأن البحث كان يحمل عنوان القيم الأخلاقية في سيرة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) في المصادر الإسلامية والمصادر المسيحية، وذلك من اجل المقارنة فيما ورد في هذه المصادر، ولبيان عظمة وعالمية الدين الإسلامي من خلال تلك المقارنة.

ولم تكن هذه المهمةِ باليسيرةِ وباشرت بجمع المادة قبل الأحداث التي ألمت بالموصل وتردي الوضع الأمني إذ كنت ارتاد الكنائس وازور المعارف ممن يدينون بالديانة المسيحية لجمع كل ما هو متعلق بسيرة السيدة مريم (عليها السلام) في المصادر المسيحية من اجل مقارنة ما جاء في المصادر الإسلامية والمسيحية حول سيرتها (عليها السلام) وتوقفت عن جمع مادة البحث بسبب الظروف التي مررنا بها والتي لا تخفى على احد، وعندما سجلت البحث ضمن الخطة العلمية للقسم لكتابة البحث كانت عمليةَ جمعِ المصادرِ صعبةً للغاية لما تعرضتْ له المكتباتُ ودورُ العلمِ والكنائس من عبثٍ وتخريبٍ بسبب العمليات الإرهابية والظروف التي أخرت عودة المسيحيين إلى مناطقهم، فقمت بفصل الموضوع وجعله مختص بالمصادر الإسلامية وسوف اتمم ما بدأت بتأليف كتاب عن سيرتها (عليها السلام) في المصادر الإسلامية والمسيحية لتصبح دراسة متكاملة إن شاء الله تعالى.

لقد منح اللهُ سبحانه وتعالى المكانةَ اللائقة والعاليةَ للسيدة مريم العذراء(عليها السلام) وعند البحثَ في سيرتِها في المصادرِ الإسلامية وجدُت أروعَ الأمثلةِ على علاقةِ العبدِ بربهِ وثقتهِ

باستجابةِ دعائـهِ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [1] وذلكَ في دعاءِ أم السيدةِ مريمَ (عليها السلام), وفيضِ الكرمِ الإلهي الذي لا تحدُّه أذهانُ الناسِ ولا تتخيلُه عقولُهم في الكيفيةِ التي استجاب اللهُ تعالى لها ذلك الدعاءَ، وكذلك وجدت دليلاً حياً على أنَّ من يتكفله اللهُ سبحانه وتعالى لا خوفٌ عليه أبداً مهما كان عليه من الضعف في ظاهره، فهذه السيدةُ مريمَ(عليها السلام) لا خلاف في أنّها لا تملكُ من مقوماتِ مواجهةِ الحياةِ شيئاً, فهي طفلةٌ أنثى يتيمةُ الأبوينِ في مجتمعٍ لم تعد فيه قيمُ الخيرِ والفضيلةِ والقيم الأخلاقية تساوي شيئاً، فيربيها الله تعالى أحسن تربية ويجعل كفالتها لمن هو أهلٌ لها من عباده، ثم يرزقَها بطريقةٍ تذهلُ العقولَ والأفكار, وفوق هذا كلِه تنجب من دون نطفة رجل ويكون طفلُها نبياً كريماً، يتكلمُ في مهدِهِ ببراءتها مما اتُهمت به، وتجري على يديه المعجزاتُ التي جعلت كل من ظلمها يندم على ذلك.

۞ المبحث الأول:

اسم السيدة مريم (عليها السلام) وألقابها في المصادر الإسلامية:

تُعَدُّ السيدة مريم العذراء (عليها السلام)الشخصية النسائية الوحيدة التي ذُكِرَ اسمها صراحَةً في القرآن الكريم في المواضع الآتية: آيتان اثنتان في سورة البقرة[2]، وست آيات من سورة أل عمران[3]، وثلاث آيات من سورة النساء[4]، وتسع آيات من سورة المائدة[5]وآية واحدة من سورة التوبة[6]، وثلاث آيات من سورة مريم[7]، وآية واحدة في كل من هذه السور الآتية: المؤمنون[8]، والأحزاب[9]، والزخرف[1]، والحديد[2]، والتحريم[3]، وآيتان اثنتان في سورة

(1) سورة غافر، الآية/ 60.

(2) سورة البقرة، الآيتان87 و 253.

(3) سورة عمران، الآيات/ 36، 37، 42، 43، 44، 45.

(4) سورة النساء، الآيات/ 156، 157، 171.

(5) سورة المائدة، الآيات/ 17، 46، 72، 75، 78، 110، 112، 114، 116.

(6) سورة التوبة، الآية/ 31.

(7) سورة مريم، الآيات/ 16، 27، 34.

(8) سورة المؤمنون، الآية/ 50.

(9) سورة الاحزاب، الآية/ 7.

الصف[4], كما ورد ذكرها بلفظ (أُم) مع اسمها مريم في قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[5]، وورد ذكرها كوالدة مع اسمها أيضاً في قوله تعالى؛﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾[6]نسبة إلى سيدنا المسيح (عليه السلام) واقترن اسمها باسمه (عليهما السلام) صراحة في كثير من المواضع, فضلاً عن أنَّ الله تعالى أفرد لها (عليها السلام) سورة كاملة في القرآن الكريم حملت اسمها (سورة مريم) تروي معظم تفاصيل قصتها.

وجاء في القصص القرآني الكريم بان من سماها مريم هي والدتها فقد ورد على لسان أمها في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[7], لقد صرّح القرآن الكريم بأنَّ من سَمَّى السيدة مريم (عليها السلام) بهذا الاسم هي أمها في قوله تعالى ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[8]، مما يؤكد أنَّ والدها عمران لم يكن على قيد الحياة عندما وُلِدت، وهذا ما يتفق مع الرواية التاريخية التي تقول إنَّه توفي وأمها حامل بها[9]. والتسمية تعد من حقوق الطفل على الأبوين بحسن اختيار الاسم، وقد أوصى الرسول ﷺ أن يكون اسم المولود حسناً لما لذلك من علاقة بنفسية وإحساس الطفل فقد روى عنه ﷺ أنه قال : "حق الولد على والده ان يحسن

---

(1) سورة الزخرف، الآية/ 57.

(2) سورة الحديد، الآية/ 27.

(3) الآية/ 12

(4) الآيات/ 6، 14.

(5) سورة المؤمنون، الآية/ 50.

(6) سورة المائدة، الآية/ 110.

(7) سورة آل عمران، الآية/ 36.

(8) سورة آل عمران، الآية/ 36.

(9) ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى (مصر: 1328هـ) 330/6؛ مطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتأريخ، الطبعة الأولى، (القاهرة: د.ت)، 119/3.

اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه"[1].وعلى الوالدين أن ينتقيا الاسم المناسب له فعن أبي الدرداء (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) "انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم"[2]. ومريم في اللغة العربية معناه (العابدة) [3].

وورد ذكر مريم (عليها السلام) وألقابها البتول، والطيبة، والحصينة، والطاهرة، في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشي ملك الحبشة: " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام من الله على من اتبع الهدى، أما بعد، فاني احمد إليك الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، واشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته. ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه ، كما خلق ادم بيده، ...."[4] والبتول تعني المرأة العذراء المنقطعة من الزواج، وهي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا [5].

۞ المبحث الثاني:

القيم الأخلاقية في نسب السيدة مريم (عليها السلام):

---

(1) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن يحيى النسائي، سنن النسائي، المطبعة الميمنية (مصر: د.ت)، 166/7.

(2) سلمان بن الأشعث بن إسحق بن شداد أبو داؤد، سنن أبي داؤد، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت)، 287/4؛ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: مصطفى عمارة، دار الجيل، بيروت، 1987، 69/3.

(3) الصابوني ، صفوة التفاسير / 1/ 198؛ أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى أرشاد أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، 29/2.

(4) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي (ت 774هـ) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1، 1351هـ 1932م ، 3 /83 ؛ محمد حميد الله مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار الإرشاد، بيروت ط 3، 1969م ، ص 79؛ الرحيق المختوم،333.

(5) محمد بن الحسن أبو بكر الأزدي . معجم جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن 1345هـ 197/1؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى القاهرة 1366هـ تحقيق: عبد السلام هارون، 195.

يُعَدُّ النَّسَبَ رابطة سامية وصلة عظيمة ومن مقاصد الإسلام السامية التي لا تستقيم الحياة بدونها، ويؤدي النسب إلى حفظ الأسرة من كل دنس وريبة وهي من أهم المعايير المعتمدة لدى الناس في تقييم المكانة الاجتماعية فيما بينهم، ولذلك فإنَّ أول ما عبَّرَ به الناس عن استنكارهم لأمر السيدة مريم العذراء (عليها السلام) من الحمل والولادة غير المألوفة هو تذكيرها بعائلتها وشرف نسبها, وذلك ما صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان قومها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(1). وقد أشارت المصادر الإسلامية الى نسب السيدة مريم العذراء (عليها السلام), وكان تركيزها وهدفها هما التعريف بها (عليها السلام) وبيان شرف نسبها وقيمته الأخلاقية بين الناس.

وأكدت جميع المصادر الإسلامية أنَّ اسم والد السيدة مريم العذراء (عليها السلام)هو (عمران)، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم واضحا وصريحا في آيتين كريمتين هما: قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾(2)وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(3)، وورد كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(4).

ولكن هناك من المفسرين من قال أنَّ المقصود في هذا النص القرآني هو عمران والد النبي موسى والنبي هارون (عليهما السلام)(5)، وأنا أُرجح الرأي الأول بان المقصود بعمران هو والد السيدة مريم (عليها السلام). لأنه أُشير إليه صراحة في الآيات القرآنية الكريمة بأنه والدها،

---

(1) سورة مريم/ 28.

(2) سورة التحريم/ الآية 12

(3) سورة آل عمران/ الآية 35.

(4) سورة آل عمران/ الآية 33.

(5) للمزيد ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم، 329/6؛ أبو محمد الحسين الفراء البغوي، تفسير معالم التنزيل، 394؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القران، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة: 1967م) 63/4؛ إسماعيل بن عمر بن كثير بن كثير، تفسير القرآن الكري، الطبعة الأولى، دار الفكر، (بيروت: 1401هـ) 359/1.

فضلا عن الفرق الزمني بين عمران والد النبي موسى والنبي هارون (عليهما السلام)، وعمران والد السيدة مريم (عليها السلام).

ووردت في المصادر الإسلامية عدة روايات لسلسلة نسب السيدة مريم العذراء (عليها السلام) منها قول الطبري في تفسيره: (مريم ابنة عمران بن ياشهم بن آمنون بن منشا بن حزقيا بن ازيقبنيويم بن عزار بن ياينامصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفا بن شاط بن أشبر بن أبان بن رحبعم بن نبي الله سليمان (عليه السلام) بن نبي الله داود (عليه السلام)[1]، وفي تاريخه روى سلسلة تختلف في بعض الأسماء ولكنها أيضا تنتهي إلى نبي الله داود (عليه السلام)[2], وقيل أنَّ السيدة مريم العذراء (عليها السلام) هي (ابنة عمران بن ياشم بن ميشا بن حزقيا بن إبراهيم بن غرايا بن ناوش بن اجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن ايشا بن اياز بن خيعم بن نبي الله سليمان (عليه السلام) بن نبي الله داود (عليه السلام)[3]، كما ورد نسبها: بأنها(مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر بن ابيوذ بن يوزن بن زريبل بن ساليان بن يوحنا بن اوشيا بن آمون بن متكشن بن حازقا بن أفاز بن عوزيا بن يورام بن سافط بن ايشا بن راجعيم بن نبي الله سليمان (عليه السلام)بن نبي الله داود (عليه السلام)[4]، وتعرَّضت روايات أخرى في العديد من كتب المسلمين لنسب السيدة مريم (عليها السلام)[5]، وعلى الرغم مما ورد فيها من بعض الاختلافات التي لا تعدو أن تكون شكلية بسبب الاعجام والتنقيط مثل اختلاف ورود (رحبعم) فقد ورد (راجعيم،رحبعم،خيعم)، وورد (ياشهم) بشكل (ياشهم)، وورد (منشا) بشكل (ميشا، ميثا)، فيُلاحظ أنَّها أرجعتها في النهاية إلى أعرق الأصول وأشرف الأنساب حيث سلالة الأنبياء سليمان وداود (عليهما السلام). ويذكر أنَّ السيد عمران والد السيدة مريم العذراء (عليها السلام) توفي وأمها حامل بها[6].

---

(1) الطبري، تفسير الطبري، 235/3.

(2) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، 1967، 345/1.

(3) عماد الدين اسماعيل بن عمر القريشي بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، بيروت، 1985م ،. 359/1.

(4) ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، بيروت، 1988م، 156/1.

(5) تفسير البغوي، 394/1.

(6) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 345/1؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، (القاهرة: د.م) 70/1.

أما أم السيدة مريم العذراء (عليها السلام) لم يتم التصريح باسمها في القرآن الكريم، وهناك بعض المصادر ذكرت أن اسمها (حنّة) [1]، وقد جاء ذكرها في سورتين منه هما: سورة آل عمران وسورة مريم، حيث خصها الله تعالى بالذكر في آيتين من سورة آل عمران عند مناجاتها لله تعالى ونذرها ما في بطنها لله تعالى، ووضعها السيدة مريم (عليها السلام) وتسميتها, ودعاؤها لها بأن يحفظها هي وذريتها من مكائد الشيطان الرجيم، ويلمس فيهما حسن أدبها وخشوعها وصلابة إيمانها أثناء وقوفها في دعائها وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]. وكذلك جاء ذكرها في سورة مريم في قوله تعالى على لسان القوم في مخاطبتهم ابنتها السيدة مريم العذراء (عليها السلام) ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[3]حيث تتبين عناية الله تعالى بها قبل أن ترزق بالسيدة مريم العذراء (عليها السلام) في توفيقها لاختيار الزوج المناسب الصالح الذي لم يكن ﴿امْرَأَ سَوْءٍ﴾وطهارتها من كل أنواع الدنس والبغي والفحش، وقد أجمعت كتب المسلمين على أنَّ اسم أم السيدة مريم العذراء (عليها السلام)هو (حنّه) بالحاء المهملة والنون المشددة[4], ولكنهم اختلفوا في اسم أبيها وجدها فمنهم من قال: إنَّه فاقوذ بن قنبل[1], وقال

---

(1) احمد بن حنبل، كتاب الاسامي والكنى، ط 1، الكويت، 1985 م، 1/ 130؛ الطبري، تاريخ الطبري 1/ 345؛ محمد بن عبدا الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، 2 / 648 و651؛ احمد بن حجر العسقلاني ، كتاب فتح الباري، ط1بيروت1379هـ 468/6؛ السيوطي، تفسير الجلالين70/1؛ أبو زكريا محيي الدين بن حزام النووي ، تهذيب الأسماء 619/2.

(2) سورة آل عمران/ الآيتان 35 و36.

(3) سورة مريم، الآية/ 28.

(4) ينظر: احمد بن حنبل، كتاب الأسامي والكنى، ، ط1، الكويت، 1985م، 130/1؛ كتاب العلل ومعرفة الرجال، ، ط1، بيروت، 1988م، 271/1 ؛ الطبري، تفسير، 235/3، الطبعة الأولى؛ الطبري، تاريخ ، 345/1 ؛ محمد بن عبدا الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق:: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت: 1990، 648/2 وص651؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: 1967 . 3/4، 65 ؛ احمد بن حجر

آخرون إنَّه فاقود بن قبيل أو فاقوذ بن قيل[2]، ولكنهم اتفقوا على أنَّها من سلالة نبي الله داود (عليه السلام)[3].

۞ المبحث الثالث:

ولادة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) ونشأتها:

حظيت السيدة مريم العذراء (عليها السلام) باهتمام كبير ومكانة مميزة في المصادر الإسلامية، ونالت حصتها التي تستحق من الذكر في جميع مصادره بدءاً بالقرآن الكريم وانتهاءً بأبسط المؤلفات ذات العلاقة، مروراً بكتب تفسير القرآن الكريم، وكتب الحديث النبوي الشريف، وكتب التاريخ، وكتب اللغة، وبالطريقة التي تستحضر الحقيقة بعينها في كل مفردة من مفردات قصتها (عليها السلام)، حيث التسلسل الموضوعي والتأريخي والحضاري للأحداث، والربط المنطقي فيما بينها وبما يرسم صورتها الحضارية البهية وسمو رسالتها المباركة في الحياة، وما كان ذلك إلا لفوزها (عليها السلام) بالدرجة العالية والمكانة المميزة عند الله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ، مما جعل المصادر الإسلامية تتفرد بسرد قصتها ولا سيما القرآن الكريم بشكل جامع مانع ومن دون نقص أو زيادة، فكان هذا السرد القرآني وما يزال منهلاً للحقيقة يقصده كل باحث عن حقيقة السيدة مريم (عليها السلام) فضلاً عن غير ذلك من الحقائق.

وتبدأ قصة ولادة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) في القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار المعرفة، تحقيق:: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت 1379هـ ، 468/6، ط1، ،؛ ؛ جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، الطبعة الأولى القاهرة، 70/1 ؛ أبو زكريا محيي الدين بن حزام النووي، تهذيب الأسماء، ط1بيروت1996م، 619/2 ؛ عبد الروؤف المناوي، فيض القدير، ،الطبعة الأولى، مصر: 1356هـ، 48/1.

(1) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 235/3 ؛ تأريخ الطبري، 345/1، محمد بن أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت 1990م تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا 648/2.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، 63 ؛ العسقلاني، فتح الباري، 468/6.

(3) القرطبي، تفسير القرطبي، 82/11.

الْعَلِيمُ﴾[1] وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنَّ العائلة التي تنتسب إليها السيدة مريم العذراء (عليها السلام) على مستوى عال من الإيمان والتقوى والقيم الأخلاقية وقوة الصلة مع الله تعالى، وفي ذلك يقول الطبري في تفسيره: إنَّ أم السيدة مريم(عليها السلام) كانت (قد امسك عنها الولد حتى أَسَنَّتْ وكانوا أهل بيت من الله (جل ثناؤه) بمكان فبينما هي في ظل شجرة نظرت إلى طائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى أنْ يهب لها ولداً فحملت بمريم)[2], وتلك هي بداية قصة السيدة مريم (عليها السلام) التي تكاد تجمع عليها المصادر الإسلامية[3]، حيث الدعاء المبارك الذي أفضى إلى كرامة عظيمة توالت من بعدها الكرامات على ذلك الجنين. فالدعاء من أهم الأسباب الموصلة الى الله تعالى.

وتشير رواية الطبري أنها لم تكن تعلم أنها حامل إلا بعد وفاة زوجها عمران، ويقول: (وهلك عمران فلما عرفت أنَّ في بطنها جنيناً جعلته لله تعالى نذيره)[4]، وهناك رأياً آخر يقول: أنها أحست بحملها قبل وفاة زوجها فقالت له: إنَّ جميع العوائل من سلالة الأنبياء نذروا من أبنائهم لله تعالى محررين لخدمته في أماكن العبادة إلا نحن (وإنّي جعلت ما في بطني نذيرة، فقال زوجها: أرأيت إنْ كان الذي في بطنك أنثى، والأنثى عورة ، فكيف تصنعين؟)[5], وعلى الرغم من قوله فإنَّها أصرت على أنْ تجعل ما في بطنها منذوراً محرراً لعبادة الله تعالى ولن تُسَخِّرَهُ لأي عمل من الأعمال الخاصة بالحياة الدنيا، وابتهلت إلى الله تعالى أنْ يَتقبل منها هذا

---

(1) سورة آل عمران/ الآية 35.

(2) الطبري، تفسير الطبري، 235/3.

(3) ينظر: الطبري، تأريخ الرسل والملوك، 1/ 345؛ مطهر ابن طاهر المقدسي، البدء والتأريخ، ، ط1، القاهرة، 119/3؛ عز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت 1979م ، 228/1 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت: 1982، 57/2 ؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى، بيروت: 1992م ، 4/ 762 ؛ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت: 1994، 181/4.

(4) تأريخ الرسل والملوك، 345/1.

(5) الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 178/2.

النذر [1], وذلك ما جاء في قوله تعالى على لسانها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2], والمنذور يعني من يعتقه والداه من سلطانهما عليه وعدم تسخيره للانتفاع بعمله في أمور المعيشة في الحياة الدنيا وجعله متفرغاً بشكل كامل للعبادة، وكان ذلك مما تقره شريعتهم ومتبعاً من قبل الناس في ذلك الوقت[3]، وكان المحرر إذا حُرِّرَ جُعِلَ في المعبد لا يبرحه يقوم عليه وينظفه[4]، وَلمْ يكن تعجب السيدة حنّة من مولد ابنتها أنها انثى هو سبب دهشتها؛ ولكن لأنها تعلم أن الذكر ليس كالأنثى في خدمة بيوت العبادة وخاصةً بيت المقدس، فخافت أن يحول جنس المولود دون إيفائها بنذرها وما وعدت به ربها، وأنَّها عندما نذرته كان غالب ظنها أنَّ ما في بطنها ذكراً وعلى هذا الأساس نذرته ، وكانوا أنما يحررون الذكور دون الإناث[5]، لأنَّهن لا يَصْلحْنَ لمثل هذه المهمة, بسبب الكثير من المؤهلات التي لا تتوافر إلا في الذكور، ولأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها[6], وذلك لما جاء في قوله تعالى: تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾[7].

(1) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 235/3 ؛ تأريخ الرسل والملوك، 345/1 ؛ المقدسي، البدء والتأريخ، 119/3 ؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 228/1 ؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 762/4 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 178/2.

(2) سورة آل عمران/ الآية 35.

(3) ينظر: تفسير الطبري، 235/3 ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 65/4؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 228/1.

(4) الطبري، تفسير الطبري، 157/3.

(5) الطبري، تفسير الطبري،237/3؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 70/1؛ المقدسي، البدء والتأريخ، 119/3؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 238/1؛ ابن منظور، لسان العرب، 181/4؛ تفسير ابن كثير، 56/2، ابن حجر العسقلاني الإصابة في تمييز الصحابة، 762/4.

(6) تفسير الطبري، 159/3.

(7) سورة آل عمران/ الآية 36.

وبعد أنْ نذرتها توجهت بالدعاء إلى الله تعالى أنْ يتقبل نذرها، وذلك ما جاء في قوله تعالى على لسانها ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(1)، أي إنَّك يا رب أنت السميع لما أقول وأدعو وتعلم سري وعلانيتي(2)، وبعد أنْ أخبر القرآن الكريم بعملية الوضع، وجنس المولود أردف بالنص الكريم: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾(3)، أي: أنَّ الله تعالى أعلم من كل المخلوقات بولادتي وما يتعلق بها(4)، وُيذكر حسب المصادر، أنَّ السيدة مريم العذراء(عليها السلام) وُلِدَتْ في مدينة القدس وإنَّ المكان الذي نذرتها أمها لخدمته وأودعتها فيه هو بيت المقدس(5).

وتنطلق الرواية الإسلامية للسيرة الذاتية للسيدة مريم العذراء (عليها السلام)من العناية الإلهية التي خصتها في كل مراحل حياتها وفي هذه المرحلة بشكل خاص ولا سيما أنها كانت ومنذ إن حملت بها أمها بمثابة الحجر الأساس لرسالة سيدنا عيسى (عليه السلام)حتى أن حديث القرآن الكريم عن دعوة سيدنا عيسى المسيح (عليه السلام) لم يبدأ بشخصه ولا بشخصية والدته السيدة مريم العذراء (عليها السلام) وإنما بدأ بأمها أي (جدته) فإذا ما أريد الإلمام بهذه الرسالة السماوية وفهمها بشكل دقيق فلا بد من الوقوف على بداياتها الأولى في القرآن الكريم التي بدأت بمناجاة السيدة (حنّه) لله تعالى ونذرها لما في بطنها وذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾(6)ودعاؤها لله تعالى بان يتقبل منها نذرها وذلك في قوله تعالى على لسانها:﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(7) ولم تقف عند هذا الحد الحد بل سعت بها جاهدةً نحو الكمال الأخلاقي والنقاء الروحي وبما أن الشيطان الرجيم هو العدو الأول للإنسان وكثيراً ما كانت وساوسه للنفس البشرية جارفة لها نحو طريق الشر والفساد فقد شددت السيدة (حنّة) وكررت دعاءها لابنتها ولذريتها وتضرعت إلى الله تعالى أن يحميها

---

(1) سورة آل عمران/ الآية 35.

(2) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 235/3؛ الآلوسي، تفسير روح المعاني، 133/3.

(3) سورة آل عمران/ الآية 35.

(4) القرطبي، تفسير القرطبي، 67/4 ؛ الآلوسي، تفسير روح المعاني، 133/3.

(5) الطبري، تفسير الطبري، 237/3 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 360/1 و115/3؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 70/1.

(6) سورة آل عمران/ الآية 35.

(7) سورة آل عمران/ الآية 35.

من مكائد الشيطان الرجيم وما شاكله من نزعات الانحراف وذلك في قوله تعالى على لسانها ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [1]،وقد بينت المصادر الإسلامية أن هناك عداوة معلنة بين الإنسان والشيطان على إفساد الذرية، وقد ذكر ذلك في حوار جرت تفاصيله في القرآن الكريم بين الله (عز وجل) والشيطان على إفساد الذرية، حيث تعهد الشيطان بحرف تربيتهم عن الطريق السليم، فقال سبحانه وتعالى على لسان ابليس: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً**﴾ [2] أي: لأضلن ذريته إلا قليلاً[3]. وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[4]، ولهذا نرى أن والدة السيدة مريم (عليها السلام) تستعيذ بالله من من الشيطان لحفظها وذريتها من مكائده.

ففاضت رحمة الله تعالى عليها بأنْ تقبل دعاءها، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [5] بمعنى أنَّ الله عز وجل تقبل مريم من أمها (حنّه) بتحريرها إياها للمعبد وخدمته وخدمة ربها بقبول حسن [6].

وجاءت السنة النبوية الشريفة مفسرة ومبينة لهذه الرحمة الإلهية ولأوجه هذا القبول وكيفيته حيث روي عن رسول الله محمد "ﷺ انه قال: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا" [7] وفي رواية أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ

(1) سورة آل عمران/ الآية 36.

(2) سورة الإسراء/ الآية 62.

(3) ابن عباس، تفسير القرآن العظيم، 85/5.

(4) سورة الحجر/ الآيات 39-40.

(5) سورة آل عمران/ الآية 37.

(6) ينظر:الطبري، تفسير الطبري، 241/3 ؛ ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، 199/1.

(7) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، ، الطبعة3، دار ابن كثير, اليمامة، بيروت، 1407هـ1987م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، 1655/4.

وَأُمَّهُ"[1]، إنَّ السيدة مريم وابنها (عليهما السلام) قد سَلِمَا منهما استجابة لدعاء أم مريم وذلك أنَّ اللهُ تعالى جعل بين مريم وابنها (عليهما السلام) عند ولادتهما وبين الشيطان الرجيم حجاباً أصابت تلك الطعنة ذلك الحجاب ولم ينفذ لهما منه شيء [2], وهذا ما اختصهما به الله تعالى.

۞ المبحث الرابع:

السيدة مريم(عليها السلام) في المعبد وكفالتها.

بعد أن وَضَعَتْ السيدة (حنّه) وليدتها السيدة مريم (عليها السلام) وعزمت الأمر على أن تفي بنذرها، وهذا ما ينم عن صلابة إيمانها وقوة علاقتها بالله تعالى, (فانطلقت بها أمها في خرقتها يعني: أم مريم بمريم حين ولدتها إلى المحراب [3]، والمحراب هنا هو محراب بيت المقدس حيث كان كهنته هم من ذرية سيدنا هارون أخي نبي الله موسى (عليهما السلام)[4]،وهم السلام)[4]،وهم يلون من بيت المقدس ما يلي الحَجَبَةُ من الكعبة[5]، وعندما التقتهم قالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإنّي حررتها وهي ابنتي)[6]، مبينة لهم إصرارها على تنفيذ ما قطعته على

(1) الإمام ابو الحسين مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى، عليه السلام، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي, بيروت، 1838/4.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، 68/4.

(3) الطبري، تفسير الطبري، 243/3؛ الامام محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، 30/8 ؛ ابن الأثير، البداية والنهاية، 57/2، 58 والكامل في التأريخ، 299/1 ؛ابن كثير، قصص الأنبياء، الطبعة الرابعة مكتبة النهضة بغداد 1988م ، 560 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 181/2.

(4) الطبري، تفسير الطبري، 243/3؛ الرازي ، تفسير الرازي، 30/8 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 57/2، 58 ؛ ؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 299/1.

(5) الطبري، تفسير الطبري، 243/3؛ ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ترتيب وضبط : مصطفى حسين أحمد، الطبعة الأولى، القاهرة: 1946م0 426/1 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8؛ ابن الأثير، البداية والنهاية، 57/2، 58 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 181/2 ؛ الصابوني، صفوة التفاسير، 202/1.

(6) تفسير الطبري، 3/ 243؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8؛ ابن الأثير، البداية والنهاية، 57/2، 58 ؛ ؛ ابن الاثير، الكامل في التأريخ، 299/1 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 181/2؛ البيضاوي ، تفسير البيضاوي، 26/2.

نفسها من نذرها لخدمة المعبد على الرغم من كونها أنثى ...، وأنها عازمة على تركها في المعبد[1]، (فقالوا هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة وصاحب قربانهم)[2]، وكان لابد أن تُوكَل كفالتها إلى شخصٍ معينٍ، فسارع كل منهم راجياً أنْ تكون من حصته، فدب الخلاف بينهم ولم يتفقوا، واستحضر كلٌ حجته بأحقيته في كفالتها وكان من بينهم سيدنا زكريا (عليه السلام)وهو أفضلهم إضافة إلى كونه زوج خالتها[3]، (وقال لهم أنا أحقكم بها تحتي خالتها فأبوا)[4]، وكان مما اعتادوا عليه عند الاختلاف في أمر ما هو الاقتراع أي إجراء القرعة القرعة عليه وينتهي بنتيجة القرعة[5]،فاحتكموا إلى القرعة قال الله عز وجل ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[6]، مخبراً جل وعلا نَبيَّهُ محمداً (ﷺ) بهذه الخصومة، فخرجوا إلى نهر الأردن فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته كأنه في طين فأخذ الجارية[7]، وهناك رواية ثانية مفادها أنَّ القرعة لم تنته بهذه البساطة، لأنَّهم لم يقبلوا بهذه النتيجة، وارتأوا أنْ تجرى مرة ثانية على أنْ تكون كفالتها من نصيب صاحب القلم الذي يجري عكس اتجاه مجرى الماء شرط أن يكون الوحيد، فألقوا أقلامهم في النهر فجرى قلم

---

(1) تفسير الطبري، 237/3 ؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 70/1.

(2) تفسير الطبري، 243/3؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8؛ ابن الأثير، البداية والنهاية، 57/2، 58 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 181/2.

(3) ينظر: تفسير الطبري، 3/ 243، 244, 246 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8؛ تفسير القرطبي، 71/4 ؛ تفسير ابن كثير، 361/1 ؛ الآلوسي، تفسير روح المعاني، 132/3، 133.

(4) تفسير الطبري، 3/ 243 وينظر: تأريخ الطبري، 345/1 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8 ؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 1/ 228، 229 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 57/2، 58 ؛ محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، بيروت: 1978، 218.

(5) عبد القادر احمد عطا، مريم والمسيح، 18.

(6) سورة آل عمران/ الآية 44.

(7) الطبري ، تفسير الطبري، 243/3؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8, 31 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 181/2، وفي معنى الأقلام المذكورة هنا عدة روايات منها أنَّها السهام وقيل هي أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة . ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 243/3 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8 ؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 1/ 228 ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي، 71/4 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 181/2.

زكريا (عليه السلام)عكس مجرى الماء وجرت بقية الأقلام مع مجرى الماء، وكذلك لم يقبلوا وأخيراً اتفقوا على أنْ تُجرى القرعة مرة ثالثة على أنْ تكون كفالة السيدة مريم العذراء(عليها السلام) من حصة صاحب القلم الذي يجري باتجاه مجرى الماء شرط أن تجري بقية الأقلام كلها عكس اتجاه الماء، فألقوا أقلامهم في النهر فكان أنْ جرى قلم سيدنا زكريا (عليه السلام) مع مجرى الماء وجرت بقية الأقلام عكس ذلك، فسلموا بهذه النتيجة وأصبحت كفالتها من نصيب سيدنا زكريا (عليه السلام)[1]، وهناك رواية ثالثة تقول: أنَّ زكريا (عليه السلام) كَفَلَها دون اقتراع ولا منازعة؛ لان أمها ماتت بعد موت أبيها وتركاها طفلة فكان أولى الناس بها؛ لأنَّ خالتها زوجته[2].

ويتفق علماء المسلمين على أنَّ هذا لم يكن أمراً عابراً ولم يكن وليد الموافقة وإنما هو احد أوجه العناية الإلهية بالسيدة مريم العذراء(عليها السلام) وحلقة من حلقات سلسلة كرامتها فضلاً عن كونه تأسيساً ومقدمة لأمور عظيمة وأكثر شمولية لم تقتصر على السيدة مريم العذراء(عليها السلام) فحسب وإنما امتدت إلى سيدنا زكريا ورزقه بابنه سيدنا يحيى (عليهما السلام)[3] كما سيأتي الكلام عنه في الصفحات القادمة, وذلك ما اخبر به القرآن الكريم في قوله قوله تعالى ﴿وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[4]، وللقراء في هذا النص القرآني الكريم ضربين من القراءة: أولهما قراءة أهل الحجاز والمدينة المنورة والبصرة ﴿وكَفَلها﴾ بتخفيف الفاء بمعنى أنَّ زكريا (عليه السلام)هو الذي كَفَلَها[5] مستندين في ذلك على قوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[6]، أي إنَّ الفعل راجع إلى زكريا (عليه السلام)[7]، وثانيهما: قراءة عامة القراء القراء الكوفيين ﴿وكَفَّلَهَا﴾، بتشديد الفاء بمعنى وضمها الله تعالى إليه، ويبدو أنَّه لا تعارض بين

---

(1) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 3/ 241 243 ؛تأريخ الطبري، 345/1 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8, 31؛ تفسير القرطبي، 70/4 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 58/2.

(2) الطبري، تفسير الطبري، 3/ 244.

(3) ابن كثير؛ تفسير ابن كثير، 48/2و116/3.

(4) سورة آل عمران/ الآية 37.

(5) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، 70/4 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8.

(6) سورة آل عمران/ الآية 44.

(7) تفسير القرطبي، 70/4 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 30/8.

القراءتين (لأنَّ زكريا ضمها إليه بإيجاب الله تعالى له)[1]، وعليه فلا بد من أنْ تكون الإرادة الربانية هي التي حسمت ذلك الأمر, ويبدو أنَّ ذلك هو الراجح لمطابقته واقع الحال والمنطق فضلاً عن أنَّ ذلك كان قضاءٌ من الله تعالى بها لزكريا (عليه السلام)على خُصُومِهِ بأنه أولاهم بها)[2] لما امتاز به من الأفضلية على غيره والأهلية لمثل هذه المهمة، ولاسيما وأنَّه زوج خالتها [3]، هذهِ الكفالة جعلها الله تعالى سببا وفاتحة خير على نبيِّهِ زكريا (عليه السلام)عندما رأى وَلَمَسَ العناية الإلهية بها (عليها السلام)وخصوصاً رزقها الذي كان خارقاً للعادة[4]، واستغل المناسبة فدعا ربه أنْ يرزقه بولد، لأنَّه كان عقيماً وزوجته عاقراً لا ينجبان وقد أسنّا[5]، حيث يروي لنا القرآن الكريم ذلك في قوله عز من قائل﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[6] أيْ أن زكريا (عليه السلام)بعد أن رأى كراماتها وخاصة رزقها دعا الله تعالى أن يرزقه ذرية فاستجاب جلَّ وعلا له دعاءه ورَزَقَهُ بابنه يحيى (عليه السلام)[7]، وهذا الأمر كان بمثابة تهيئة لذهن كافلها زكريا (عليه السلام)ولأذهان الناس من بعده لتقبل الحدث الأكبر والأهم وهو إنجابها لسيدنا عيسى (عليه السلام)من دون أب.

ومما تقدم يتبين إنَّ السيدة مريم العذراء(عليها السلام)دخلت المعبد في وقت مبكر من طفولتها بعد أنْ أودعتها أمها فيه تنفيذاً لما قطعته على نفسها من نذر ثم استقر أمر كفالتها إلى نبي الله زكريا (عليه السلام) ويذكر أنه خصص لها غرفة في المعبد واسكنها فيها ولا يدخل

(1) تفسير القرطبي، 70/4؛ السيوطي، الدر المنثور، 2/ 181.
(2) السيوطي، الدر المنثور، 185/2 ؛ الصابوني، صفوة التفاسير، 199/1.
(3) السيوطي، الدر المنثور، 185/2؛ محمد جاد المولى، قصص القرآن، 209.
(4) الزمخشري، تفسير الكشاف، 428/1 ؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 32/8 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 185/2 ؛ محمد أحمد جاد المولى ، قصص القرآن ، 209.
(5) السيوطي، الدر المنثور، 185/2 ؛ محمد احمد جاد المولى، قصص القرآن، 209.
(6) سورة آل عمران/38.
(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 48/2 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 187/2.

عليها احد سواه [1]. وقام زكريا (عليه السلام) بحسن الكفالة وتمام الإحسان إلى السيدة مريم (عليها السلام)[2]

المبحث الخامس:

القيم الأخلاقية في سلوكيات السيدة مَرْيَم العذراء (عليها السلام):

على الرغم من ميل الأسلوب القرآني إلى الاختصار في بعض جوانب حديثه عن السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) لكنه جاء حاملاً من الدلالات والمعاني وكأنه لم يختصر أصلا، وهذا ليس غريباً على القرآن الكريم كتاب الله تعالى المعجز الذي جاء على مستوىً عالٍ من البلاغة، وينطلق الفكر الإسلامي في وصف سلوكيات وأخلاق السيدة مَرْيَم العذراء (عليها السلام) بداءً من قوله تعالى:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3], فإن الله (تقبل من أمها ما أرادت بها للمعبد وآجرها فيها)[4]، وهذا كان سبباً لفيضان البركات الإلهية الإلهية على السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) منذ ولادتها وانعكس على كل جوانب حياتها وخاصة سيرتها وسلوكها وأنَّهُ تعالى (سلك بها طريق السعداء)[5]، أما قوله تعالى"أَنْبَتَها" ففيه قولان أحدهما: أنَّ (معناه وأنبتها ربها في غذائه ورزقه نباتاً حسناً حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة)[6]، ويُلاحظ أنَّ هذا القول ينحصر في الإنبات المادي ونمو جسمها الشريف، أما القول

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف، 427/1 ؛ عز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير . الكامل في التاريخ . الطبعة الأولى . دار صادر بيروت 1979م ، ص299 ؛ إسماعيل أبو الفداء بن كثير ، قصص الأنبياء ، الطبعة الرابعة مكتبة النهضة بغداد 1988م 561.

(2) السيوطي، الدر المنثور، 185/2؛ الصابوني، صفوة التفاسير، 199/1 ؛ محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن ، الطبعة الأولى، بيروت 1978م 209.

(3) سورة آل عمران/ الآية 37.

(4) تفسير الطبري، 241/3.

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، 69/4 ؛ ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، 427/1 ؛ عفيف عبد الفتاح طبارة، طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر في حياتهم ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين، بيروت 1978م ، ص316.

(6) الطبري، تفسير الطبري، 241/3؛ ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، 31/8؛ تفسير القرطبي، 69/4 ؛ تفسير ابن كثير، 115/3 ؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 71/1.

الآخر فذهب أصحابه إلى أبعد من التفسير السابق وقالوا إنَّ الله تعالى (جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهياً وَيَسَّرَ لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين) [1]، بمعنى أنَّ الإنبات في هذا النص الكريم يعني النمو الجسماني المادي فضلاً عن حسن النشأة والتربية الصالحة والأخلاق الحميدة[2]، ويؤكدون على أنَّ إكفال الله تعالى زكريا (عليه السلام)لها (عليها السلام)هو أحَد أوجه تلك الرحمة والعناية الإلهية التي اكتنفها قوله تعالى:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

ولازَمَتْ شخصية السيدة مريم عدداً من الشمائل والفضائل والصفات الأخلاقية ويمكن تلمسها في نصوص القرآن الكريم ومن أهمها:

أولاً: الطاعة عند السيدة مريم (عليها السلام) وقيمها الأخلاقية:

من خلال التفحص في نصوص القرآن الكريم الخاصة بالسيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) نجد أنَّها عُرِفَتْ بأفضل ما يجب أنْ يكون عليه الإنسان في المراحل الأولى من حياته ولاسيما الطاعة؛ لأنَّه لا يمكن للمرء أن يتعلَّم ما لم يكن مطيعا بداءً، فضلاً عن كون الطاعة هي الأساس لتأدية الواجبات الدينية والدنيوية وتنظيم العلاقات الاجتماعية فكانت السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) مثلا يضرب في طاعة الله تعالى وطاعة من تجب عليها طاعته من الناس وخاصة الكافل ولي الأمر الذي هو سيدنا زكريا (عليه السلام)، فنجد أنَّها استقبلت حياتها بأفضل أنواع الطاعة وهي طاعة الله تعالى والتسليم بقدره في جعلها منذورة لعبادته وتفرغها لخدمة مكان العبادة وتطبيقها فعلا لذلك على أكمل وجه، ثم طاعتها لكافلها وولي أمرها سيدنا زكريا فيما وجهها له، ولاسيما ملازمة المحراب ، حيث تتضح طاعتها لله تعالى فيما قدره لها من تكريس حياتها لخدمة المعبد، كما تتضح طاعتها لكافلها وولي أمرها سيدنا زكريا (عليه السلام) فيما وجهها له من ملازمة المكان الذي خصصه لها من المعبد وعدم الخروج منه دون علمه

---

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 29/2؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير،31/8.

(2) ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، 200/1.

(3) سورة آل عمران/الآية 37.

حيث إنَّه كلما دخل عليها المحراب كان يجدها فيه لم تبرحه[1]، أي إنَّ سيدنا زكريا (عليه السلام)كان واثقاً تمام الثقة بأنَّها (عليها السلام) كانت مطيعة له في عدم الخروج من مكانها وعدم مقابلة أحد دون علمه، وهذا عند بعض العلماء هو أحد أسباب استغرابه وسؤاله إياها عن مصدر ذلك الرزق[2]، ولم يكن منه (عليه السلام)إلا أن صدقها عندما أخبرته عن مصدره في قوله تعالى على لسانها (عليها السلام) ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[3]، وبذلك تكون السيدة مريم العذراء(عليها السلام) قد عُرِفَتْ بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول الذي هو النبي زكريا (عليه السلام)، لأنَّه كافلها وولي أمرها.

ثانياً: العِفَّة عند السيدة مريم (عليها السلام) وقيمها الأخلاقية:

لاشك في أنَّ جميع ما ورد في المصادر الإسلامية تؤكد أنَّ السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) تَحَلَّتْ بأعلى درجات النقاء الأخلاقي والفضائل ولا سيما العِفَّة حيث إنَّ عمدة قصتها (عليها السلام) مبنية على أنَّها لم تستسلم قط لشهوة، فقد عُرِفَتْ بعفتها طوال حياتها تجاه كل أنواع الرغبات المادية والمعنوية وقد فصّل القرآن الكريم القول فيما كانت عليه السيدة مَرْيَم (عليها السلام) من قطعها لدابر الرغبات المعنوية المتمثلة بمخالطة الناس، فعلى الرغم مما جبل عليه الإنسان من تعلق بالفعاليات الاجتماعية وميله إلى مشاركة غيره في الفعاليات الحياتية نجد أنَّ السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) تمسكت بجهاد النفس تجاه هذه الرغبة[4]، وتعففت عن مخالطة الناس إلا ما اقتضته منها الضرورة الدينية، تمثل ذلك بملازمتها المعبد كما أسلفنا عند الحديث عن طاعتها (عليها السلام)وكان رزقها يأتيها من الله تعالى بطريقة غير معتادة وذلك في قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ

---

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف، 427/1؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير، 31/8؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 71/4 ؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، 561 ؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ 299/1 ؛ الصابوني، صفوة التفاسير، 199/1.

(2) ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، 32/8 ؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 71/4 ؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، 561 ؛ ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 299/1؛ الصابوني، صفوة التفاسير، 199/1.

(3) سورة آل عمران/الآية 37.

(4) السيوطي، شرح سنن ابن ماجة، 133/1.

أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(1)، وتبين هذه الآية الكريمة استمرارية إطعام اللهُ تعالى للسيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) بهذه الطريقة المباركة وعدم الانقطاع في قوله تعالى "كلَّما) (أي كل مرة يدخل عليها)، ويؤكد المفسرون على أنَّ ذلك كان رحمةٌ من الله تعالى بها وإكراماً لها لما كانت عليه من عفة وتعفف طوال حياتها(2), وتتبين نزاهتها صراحةً وبشكل مطلق كما قالت:﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾(3)، وَمَنْ أُقِرَّ بنزاهتها وسلامتها من عموم البشر فإنَّه من باب أولى الإقْرار بنزاهتها وعفتها وهي أمام رسول ربها جبريل (عليه السلام), فأصحاب القول الثاني اعترفوا لها بالثبات وضبط النفس والغريزة أمام من وصفه الله تعالى في الآية الكريمة:﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(4)، بشراً سويا لكونها لا تحتمل رؤيته على صورته الحقيقية أي: صورة الملائكة، وَلَنا أنْ نتصور ما كان عليه ذلك المَلَك المبارك من حسن هيأة وبهاء طلعة وما لهما من دور، وعلى الرغم من ذلك كان ردها عليه ما جاء في الآية الكريمة:﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾(5)، لأنها معتزلة عن أهلها، خافت أن يكون رجلاً يريد أن يتعرض لها بسوء، فاعتصمت بربها واستعاذت فيه، أي أعوذ ألتجئ وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي، فجمعت السيدة مريم (عليها السلام) بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى،وبذلك أُقِرَ لها بالحصانة والنزاهة المطلقة، مما يدل على قمة القيم الأخلاقية، فضلاً عن ذكر السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) في الآية القرآنية الكريمة التي ذكرناها أولا أي قوله تعالى:﴿وَمَرْيَمَ ابْنَة عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(6) إنما هو امتداد لما جاء في الآية الكريمة التي سبقتها وهو قوله تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

(1) سورة آل عمران/ الآية 37.
(2) الطبري، تفسير الطبري، 347/3 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 361/1 و115/2.
(3) سورة مريم/ الآية 20.
(4) سورة مريم/ الآية 17.
(5) سورة مريم/ الآية 18.
(6) سورة التحريم/ الآية 12.

وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] أي أنَّ الله تعالى قرن السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) مع السيدة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وضربهما مثلاً للمؤمنين لما كانتا عليه من الفضيلة والإيمان والصلاح والأخلاق وهذا تأكيد قرآني آخر على عِفَّةِ السيدة مَرْيَم (عليها السلام)لان العِفَّة هي من صفات أخلاق المؤمنين فضلاً عمن يضرب مثلاً لهم.

وأكدت السنة النبوية المطهرة كثيراً على ألأخلاق الفضيلة للسيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) بل إنَّ أحاديث الرسول محمد (ﷺ) أكَّدَتْ وبكل صراحة على أنَّ السيدة مَرْيَم (عليها السلام) في المرتبة الأولى والمكانة الأعلى بين نساء العالمين، ومثال ذلك ما روي عن الرسول محمد ﷺ انه قال:كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مَرْيَم بنت عمران وآسية امرأة فرعون"[2] حيث يتضح جلياً أنَّ السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) هي صاحبة الذكر أولاً عندما تتحدث السنة النبوية الشريفة عن الكمال الأخلاقي عند النساء، فسنة الرسول محمد (ﷺ) إنَّما جاءت مفصلةً ومؤكدةً لما اخبرنا به القرآن الكريم من كمال خُلُق السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) وتفضيل الله تعالى لها على بنات جنسها إطلاقاً، وبما أنَّ صفة العفاف هي من ضروريات حسن الخلق وكماله ولا يمكن تصور المرء خلوقاً بدونها فإنَّه يتضح مما تقدم أن المصادر الإسلامية لم تكتفِ بالتصريح بعفة السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) فقط وإنَّما شَهدَ لها بالعفاف المطلق والأخلاق الكريمة وإنها احتلت المرتبة الأولى على غيرها من النساء في هذه الصفات.

ثالثاً: العبادة عند السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) وقيمها الأخلاقية:

اخبرنا القرآن الكريم كما أسلفنا في المباحث السابقة أنَّها (عليها السلام) نُذِرَتْ للعبادة منذ ان كانت جنيناً في بطن امها، وذلك في قوله تعالى على لسان أمها:﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3]،إذ كانت أمنيتها أنْ يكون عابداً حقيقياً مسخِّراً كل طاقاته وجوارحه في طاعة الله تعالى، ولذلك كان رجاؤها أنْ يكون ذكراً؛ لأنَّه بطبيعة

(1) سورة التحريم/ الآية 11.

(2)الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، 1886/4 الحديث رقم 2431.

(3) سورة آل عمران/ الآية 25.

الخلقة أقوى على العبادة وأقوم من الأنثى[1]، والسيدة مَرْيَم (عليها السلام) سُلِّمَتْ إلى المعبد في مرحلة مبكرة من طفولتها، وان والدتها هي التي سلمتها[2]، فكانت منذورة للعبادة، محفوفة بعناية الله تعالى إكراماً لها واستجابة لدعاء أُمُّها، فَنَشَأتْ وتَرَعْرَعَتْ في أنوار الهداية الإلهية وكان زادها وآمالها الطاعة والعبادة وهذا ما جاء به الخبر الصادق في القرآن الكريم ونقلته سنة الرسول محمد (ﷺ) فالقرآن الكريم أكد على أن الله تعالى استجاب دعاء أم السيدة مَرْيَم (عليها السلام) وتقبل ابنتها أحسن قبول وأنبتها أحسن نبات وما يحتمه ذلك من أن تكون عليه من طاعة ونسك، فقد حملت الآيات القرآنية الكريمة الكثير من الدلالات والأخبار الصريحة عن إخلاص السيدة مَرْيَم (عليها السلام)عبادتها لله تعالى بجميع أنواعها وأشكالها، وتمام اليقين بالله تعالى بداءً فقد صرح القرآن الكريم بصلابة إيمانها بالله تعالى وعقيدتها الراسخة في العديد من آياته الكريمة ومنها مثلاً قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

أما الأشكال الأخرى لعبادة السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) فقد تكلم عنها القرآن الكريم بطريقة بلاغية بديعة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى على لسان ملائكته:﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[4]فمن الناحية اللغوية يتضمن هذا النص الكريم ثلاثة أفعال أمر هي: "اقْنُتِي، اسْجُدِي، ارْكَعِي" وفي الأمر الأول(أقنتي) تشترك معاجم اللغة العربية في أنَّ معنى القنوت يدور حول طاعة الله تعالى والانقطاع إليه والمداومة على عبادته بإخلاص[5]، والأمر الثاني(اسْجُدِي)وهو من الفعل (سَجَدَ) وينطوي على معاني الخضوع،

(1) الطبري، تفسير الطبري، 238/3.

(2) الطبري، تفسير الطبري، 243/3 ؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 67/4.

(3) سورة آل عمران/ الآية 37.

(4) سورة آل عمران/ الآية 43.

(5) الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، 129/5 ؛ أبو الفتح ناصر الدين بن المطرز، المُغرَّب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، الطبعة الأولى حلب: 1979م ، 196/2 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 3747/2.

التذلل، والانحناء، والمراد في هذه الآية الكريمة سجود العبادة [1]، أما الأمر الثالث (إركعي) فهو من الفعل (رَكَعَ) وله نوعان من الدلالة: معنوية، ومادية، وتدور دلالاته المعنوية حول التذلل وانحطاط الحال والخضوع[2]، أما دلالاته المادية فهي انحناء الجسم، وطأطأت الرأس وخفضه والكبو على الوجه[3]، وجاءت أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة مطابقة للدلالات اللغوية لمفرداتها، وقال قسم منهم إنَّ فحواها هي أوامر من الله تعالى للسيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) بإقامة الصلاة على هيئات بعينها وبشكل يختلف عما كانت عليه سابقاً في أداء صلواتها، واستنبطوا منه عدداً من الأحكام الخاصة بالصلاة عند المسلمين[4]،وتواترت الأخبار على أنَّ السيدة مَرْيَم (عليها السلام)لم تكن إلاّ كما أرادها الله تعالى ولا سيما في عبادتها (فيقال إنَّها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها)[5]، فكانت في المحراب تعبد الله تعالى ليلاً ونهاراً وتقوم بخدمة البيت عندما يأتي دورها حتى أصبح يُضْرَبُ بِها المثل واشتهرت بذلك بين قومها[6]. وشهد الله تعالى لسيدتنا مريم (عليها السلام) أنها من القانتين أي من العابدين المخبتين المخلصين لله عز وجل قال تعالى: ﴿ وكانت من القانتين﴾. وهي بذلك ضربت لنا أروع الأمثال في القيم الأخلاقية. وأنها من عباد الله تعالى الصالحين المواظبين على عباداتهم على أكمل وجه، ويبدو أنَّ ذلك كان عماد مثلها الأخلاقية في الصلاح.

۞ المبحث السادس:

رِزْق السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام):

---

(1) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 366/1 ؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق:: محمود خاطر، الطبعة الأولى، بيروت 1995م 121/1.

(2) الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، 129/5 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 3747/2.

(3) الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، 200/1 ؛ ابن المطرز، المُغرَّب في ترتيب المعرب345/1 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 133/8 ؛الرازي، مختار الصحاح، 107/1.

(4) الطبري، تفسير الطبري، 181/3 ؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 84/4 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 33/2.

(5) الطبري، تفسير الطبري، 181/3 ؛ ينظر: الفرطبي، تفسير القرطبي، 84/4 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 33/2.

(6) ابن الأثير، البداية والنهاية، 58/2.

يعد موضوع رزق الله تعالى السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) من الأحداث المهمة التي تخللت حياتها (عليها السلام) في المصادر الإسلامية ومكرمةً من المكرمات الإلهية العظيمة التي اختصها الله تعالى بها، والتي لم تقف عند حدود ما يؤكل ويشرب لغرض التغذية وإنَّما حملت الكثير من الدلالات والمعاني والعبر، فمما لا خلاف فيه عند المسلمين أن الله تعالى أكرم السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) بالكثير من الطيبات مما تشتهي النفس البشرية من أنواع المأكل والمشرب في مختلف فترات حياتها وبطريقة غير مألوفة وذلك ما قطعت به كثير من نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (ﷺ)، واهم ما جاء في القرآن الكريم بهذا الخصوص هو قوله تعالى :﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وما يخصنا هنا هو قوله تعالى (رِزْقًا)، والرزق بمعناه العام في اللغة هو: العطاء وكل ما ينتفع به منه فهو رزق[2]، والرازق هو الله تعالى، وهو احد أسماء الله تعالى الحسنى أي إنَّ كل عطاء فيه منفعة أو فائدة من غذاء أو علوم فهو رزق، ولعلماء تفسير القرآن الكريم في هذا النص عدة مذاهب، فمن ناحية وقت ذلك الرزق ومدة رزق الله تعالى للسيدة مَرْيَم (عليها السلام)قال بعضهم انه كان مستمراً مستندين في ذلك إلى قوله تعالى (كُلَّما) لأنَّها تفيد الاستمرارية أي في كل مرة يدخل عليها زكريا (عليه السلام) يجد عندها رزقا[3]،، وإنَّ حوارها مع زكريا (عليه السلام) عندما سألها عن مصدر ذلك الرزق في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4] والآية القرآنية الكريمة التي تلت آية الرزق مباشرة وعُطِفَتْ عليها في قوله تعالى:﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[5]، حيث إنَّه كان متقدما في العمر وزوجته كانت عجوزاً عاقراً وإنَّه (لما رأى الفاكهة

(1) سورة آل عمران/ الآية 37.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 89/5 ؛ ابن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، 328/1 ؛ الرازي، مختار الصحاح، 101/1 ؛ الفيومي، المصباح المنير، 225/1 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 115/10.

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 361/1 ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي، 69/4؛ الآلوسي، تفسير روح المعاني، 138/3.

(4) سورة آل عمران/ الآية 37.

(5) سورة آل عمران/ الآية 38.

فـي غيـر وقتهـا انتبـه علـى جـواز ولادة العـاقر)[1]، وإن الله سـيكرمه كمـا أكـرم السـيدة مَـرْيَم العذراء(عليها السلام) برزق من لدنـه وهو عبارة عن أصـنافٍ من الأغذيـة، وَجَعَلَ خصوصـية السيدة مَرْيَم (عليها السلام) في هذا الأمر مجيء بعض هذه الأغذية في غير أوقاتها (فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء)[2] وهذه النقطة بعينها هي مدعاة تعجب سيدنا زكريا (عليه السلام) وسؤاله السيدة مَرْيَم (عليها السلام)﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ مما جعله يدعو ربه أن يرزقه ذرية في غير حينها كما رزق السيدة مَرْيَم (عليها السلام) فاكهة في غير حينها كون زوجته عجوزاً عاقراً[3]، ومن الجدير بالذكر هنا هو أنَّ هذه الآية الكريمة ركزت إلى حد كبير على موضوع رزق الله تعالى للسيدة مَرْيَم (عليها السلام) في مراحل حياتها الأولى وتحديدا فترة مكوثها في المعبد قبل أن تلد سيدنا عيسى (عليه السلام).

وأكرم الله تعالى السيدة مريم (عليها السلام) بإيجاد نهراً في المنطقة التي كانت فيها، بعد أن لم يكن؛ لأنَّها كانت في ارضٍ صحراء[4]، وتحويل الله تعالى جذع النخلة إلى نخلة مثمرة محملة بالرطب الناضج لان الجذع هو ساق النخلة التي قطعت رأسها التي يتفرع منها السعف وتتدلى منها الثمار وهي التي إذا قطعت فان النخلة عادة ما تموت ولا يبقى لها أمل في الحياة، إلّا أنَّ قدرة الله غالبة وأعادت تلك النخلة إلى زهوها محملة بالثمر[5]. ولو عدنا إلى وقت الولادة الذي حصرته المصادر الدينية والتاريخية في الأيام الأواخر من شهر كانون الأول أو بعدها بقليل لوجدنا انه ابعد ما يكون عن الوقت المعتاد لنضوج التمر وعلى رغم ذلك فقد جعل الله تعالى تلك النخلة مثمرة في غير حينها[6].

فرزق الله سبحانه السيدة مَرْيَم (عليها السلام) في فترة نفاسها التمرَ دون غيره من الأغذية، وهو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى (ولو علم الله تعالى أنَّ شيئا للنفساء

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف، 428/1؛ ينظر: ابن الأثير، البداية والنهاية، 48/2, 58.
(2) الطبري، تفسير الطبري، 3/ 244 247 ؛ ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، 361/1.
(3) الطبري، تفسير الطبري، 3/ 244, 245 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 361/1.
(4) القرطبي، تفسير القرطبي، 94/11.
(5) الطبري، تفسير الطبري، 69،71/16 ؛ تفسير ابن كثير، 118/3 ؛ تفسير القرطبي، 94/11.
(6) تفسير الطبري، 16/ 71.

أفضل من التمر لرزق السيدة مَرْيَم إياه)[1]. وهذه الأمور مجتمعة هي كرامة للسيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام) وقرة لعينها وطمأنة لنفسها[2]، وبأنَّ ما حصل لها ليس أمراً عابراً وأنَّ لوليدها شأناً عظيماً.

وبناءً على ما تقدم فإنَّ الإسلام كونه دين حضاري وعالمي، فقد أعطى موضوع رزق السيدة مَرْيَم العذراء(عليها السلام)درجة عالية من الاهتمام، وتحدث عنه بطريقة رائعة تتناسب ومكانة السيدة مَرْيَم العذراء (عليها السلام), بالشكل الذي طرح هذه الحقيقة كاملة غير منقوصة من حيث أبعاده المادية والآنية في كون ذلك الرزق جاء لسد حاجة حياتية مهمة، وأبعاده المعنوية والاعتبارية في كونه خارج نطاق المألوف، وما يحمله من دلالات على قدره الله تعالى وحكمته، فاكتنف موضوع رزق السيدة مَرْيَم (عليها السلام) في المصادر الإسلامية رسالة خاصة إلى السيدة مَرْيَم (عليها السلام) بأنْ تَطْمَئِنَّ وَتَسْكُنَ وأنَّ ما جرى لها هو تدبير الهي وأمر عظيم كرّمها الله تعالى به، وقَصَصاً وعِبَراً في أنَّ الله تعالى لا يترك أهله وعباده المُخْلَصين. قال تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [3] وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيز**﴾ [4]

مما لا يخفى إنَّ سيرة السيدة مريم العذراء(عليها السلام)هي سيرة متكاملة ويبدو أنه لا انفصال بين أحداثها ومفرداتها، وأنَّ محاولة فهم أي حدث من هذه الأحداث من دون الرجوع إلى بقية أحداث هذه القضية يكون منقوصاً ومجتزءاً، وبالتالي فإنَّها جميعاً مكملة لبعضها دون أدنى شك، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض هذه الأحداث لم تكن خاصاً بالسيدة مريم العذراء(عليها السلام)من الناحية الموضوعية بل تعدتها إلى المحيطين بها مثل نبي الله زكريا (عليه السلام)عندما رزقه الله تعالى بابنه يحيى (عليه السلام), ويُلاحظ أنَّ الإسلام تعاطى مع موضوع إنجاب السيدة مريم العذراء(عليها السلام)نبي الله عيسى (عليه السلام)كأهم أحداث

(1) الطبري، تفسير القرطبي، 96/11 ؛ ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، 118/3.
(2) تفسير القرطبي، 94/11.
(3) سورة النور/ الآية 38.
(4) سورة الشورى/ الآية 19.

قصتها، فولادتها نفسها كانت لأبوين عاقرين وكلاهما في سن اليأس[1]وهذا ما لم يؤلف، ونذر أمها لها وتحريرها للعبادة الخالصة وتضرعها إلى الله تعالى بأن يحفظها مما لا يرضيه سبحانه وتعالى ما كان له بالغ الأثر في نشأتها وشمائلها[2] ثم تأكيدها على مثل ذلك لذريتها في الوقت الذي يندر فيه من يدعو لذرية أبنائه من الناس إنْ لم نقل لم يعرف هكذا دعاء إلا بعد أنْ اشتهر عنها وهذا يبدو مناسبا إلى حد كبير أنْ يكون تأسيساً لأمر عظيم ينتظر هذه الفتاة [3]، ثم إكفالها نبي الله زكريا (عليه السلام) بالذات وما له من مؤهلات لا يحملها غيره من صلاحٍ وتقوى كونه نبياً من أنبياء الله تعالى ومؤهلات خدمتها وطمأنينتها ولا سيما وأنَّ خالتها زوجته[4] وما يمكن أنْ تحظى به منه من رعاية قد لا تجدها عند غيره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى النتيجة المعروفة التي انتهت إليها القرعة بطريقة عجيبة غريبة[5] التي لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تندرج ضمن مفهوم الموافقة، وهذا ما يؤكد مرة أخرى على أن لمريم العذراء(عليها السلام)خصوصية وبركة.

۞ المبحث السابع:

حمل السيدة مريم العذراء(عليهما السلام) بابنها (عيسى عليه السلام):

إن رواية ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) في المصادر الإسلامية، أكثر تفصيلاً واتساقاً ومنطقيةً وإقناعاً وتشريفاً للسيدة مريم (عليها السلام)، من الكتب والمصادر الأخرى، فرواية القرآن تبين أن الملائكة بأمر الله تعالى بشرت السيدة مريم (عليها السلام) بالسيد المسيح (عليه السلام) قبل مولده، باعتباره كلمة الله وآية للناس، من عند الله. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾[6]

(1) الطبري، تفسير الطبري، 3/ 235 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 180/2.
(2) الطبري، تفسير الطبري، 241/3.
(3) الطبري، تفسير الطبري، 241/3 ؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، 393/1.
(4)الطبري، تفسير الطبري، 241/3، 242.
(5) الطبري، تفسير الطبري، 243/3.
(6) سورة آل عمران/ 45.

ويروي القرآن الكريم الحدث الأهم في حياة السيدة مريم العذراء(عليها السلام)، ألا وهو حملها بنبي الله عيسى (عليه السلام), ويصف لنا القرآن الكريم يوم المحنة الكبرى للسيدة مريم العذراء(عليها السلام) في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[1]، ويذهب المفسرون إلى أنَّ ذلك خطاباً من الله تعالى لرسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أي ﴿واذكر يا محمد في كتاب الله الذي انزله عليك بالحق مريم ابنة عمران حين اعتزلت من أهلها وانفردت عنهم﴾[2]، وبقدر ما يشكله هذا الذكر من بيان لحقيقة حال السيدة مريم العذراء(عليها السلام) فإنَّه وجه من وجوه الإعجاز القرآني بكلامه عن أخبار الأمم السابقة ودليل على صدق دعوى الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)بأنَّ هذا القرآن هو كلام الله تعالى[3], وتبدأ أحداث يوم الحمل من قوله تعالى: (إنْتَبَذَتْ) وهو من الفعل نَبَذَ ومعناه في اللغة الطرح والرمي (ونَبَذْتُ الشيء إذا رميته وأبعدته)[4]و(نَبَذَهُ ألقاه)[5]أي إنَّ السيدة مريم العذراء(عليها السلام)انفردت عن أهلها، وأخبر القرآن الكريم إنَّها حددت لانفرادها جهة الشرق في قوله تعالى:﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[6]، ولا يبدو أنَّه كان لجلب الماء لأنَّ النص خالٍ من أية إشارة إلى ذلك، وفي الآية الكريمة التي تلتها خبرٌ بأنَّها اتخذت لها من دون الناس ستاراً في قوله تعالى:﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[7] ولا شك إنَّه لا علاقة لذلك بجلب الماء، وبالتالي فإنَّ اعتزالها لم يكن مصادفة أو لجلب الماء وإنَّما كان لأمر آخر، ويبدو أنَّه تدبير إلهي

(1) سورة مريم/ الآية 16.

(2) الطبري، تفسير الطبري 45/16؛ أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي، النكت والعيون ، تحقيق: خضر محمد خضر، الطبعة الأولى، الكويت: 1982م ، ، 520/2 ؛ ابن الجوزي، زاد المسير، 216/5 ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 90/11.

(3) الغرناطي، الجامع لأحكام القرآن، 179/6 ؛ علم الدين السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، 44/1.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 511/3 ؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 191/8 ؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 432/1.

(5) الرازي، مختار الصحاح، 268/1؛ الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، 191/8 وابن منظور، لسان العرب، 511/3 والفيروز آبادي، القاموس المحيط، 432/1.

(6) سورة مريم/ الآية 16.

(7) سورة مريم/ الآية 17.

وإنْ كان ظاهره لأسباب ذاتية، وفي اتخاذ السيدة مريم العذراء(عليها السلام) دون أهلها الحجاب الذي هو (ستر يسترها عنهم وعن الناس)[1]

وبناءً على ما تقدَّم يثبت لنا أنَّ إنفراد السيدة مريم العذراء(عليها السلام)عن أهلها والناس في ذلك المكان الشرقي ما كان إلا لحكمة إلهية.

تشاء الحكمة الإلهية أن تلتقي السيدة مريم العذراء(عليها السلام)رسول ربها، فبعد ان انفردت واعتزلت الناس، يخبر القرآن الكريم عما حصل وذلك في قوله تعالى:﴿فأرْسَلْنا إليها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً﴾[2] ويرجح العلماء أنَّ المقصود بقوله تعالى رُوحَنا هو جبريل (عليه السلام) [3] وتصور هذه الآية القرآنية الكريمة إحدى أعظم القيم الأخلاقية التي تجسدت من خلالها عزة نفس السيدة مريم العذراء(عليها السلام) وعفتها المطلقة حيث أنَّ ذلك الروح (تَشَبَّهَ لها في صورة آدمي سويّ الخَلْق)[4] ومدى ما يمكن أن يكون عليه ذلك المَلَك من جمال صورة وحسن هيأة عندما يكون بصورة رجل وما يمكن ان تكون له من جاذبية وتأثيرٍ بالغين عند فتاة في عمر السيدة مريم العذراء(عليها السلام) آنذاك، ومع ذلك نجد أنَّها تعاملت مع الحدث بما يثبت عفتها وعزة نفسها فضلاً عن شدة إيمانها بالله تعالى وذلك ما تضمنه قوله تعالى:﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا﴾[5]، والعوذ في اللغة: هو الالتجاء[6],وفي اللغة تقى الله تقياً بمعنى خافه[7] ،فالسيدة مريم (عليها السلام)عندما رأت ذلك الرجل خافت منه وناشدت

(1) تفسير الطبري، 46/16.

(2) سورة مريم/ الآية 17.

(3) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 60/16 ؛ تفسير القرطبي، 90/11 ؛ تفسير ابن كثير، 116/3؛ السيوطي، السيوطي، تفسير الجلالين، 398/1.

(4) الطبري، تفسير الطبري، 60/16.

(5) سورة مريم/ الآية 18.

(6) ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، 229/2 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 498/3 ؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 428/1 ؛ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، 193/1.

(7) جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي بن منظور، لسان العرب، اعتنى بتصحيحها : أمين محمد عبد الوهاب، محمد محمد الصادق العبيدي، ط : 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، 1996م، 2/ 41 .

إيمانه بالله تعالى وتقواه [1] بأن لاّ يمسها بسوء، والتجأت إلى الله تعالى ليخلصها منه، أي: إنَّها (عليها السلام) خاطبت الرجل بما معناه أعوذ بالله تعالى مِنْكَ ان كنت تتقيه وتخافه، ويذهب العلماء إلى أنَّ ذلك الخوف وتلك الخشية من السيدة مريم العذراء(عليها السلام) كان قبل أنْ تعرف إنَّه رسول ربها[2]، وبعد أنْ اخبرها بذلك في ما ورد في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[3] ، أي: إنما وظيفتي هو تنفيذ رسالة ربي فيك، وهي بشارة بالولد المُزكى المتصف بالخصال الحميدة.

وعلى الرغم مما انتاب السيدة مريم (عليها السلام) من خوف وفزع في بداية لقائها الملك فإنَّه بمجرد أنْ قال لها إنَّه رسول ربها تبددت مخاوفها وسكنت وبدت عليها الطمأنينة[4]، وذلك يُلْمَسُ من طبيعة جوابها له في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[5] بمعنى: أنَّ السيدة مريم العذراء (عليها السلام) نَفَتْ عن نفسها مباشرة أي رجل من أي وجه حلالاً كان أم حراماً[6]، هذا عن الماضي، أما عن المستقبل فقد قالت (عليها السلام) لجبريل (عليه السلام)(من أي وجه يكون لي غلام أمِنْ قِبَل زوج أتزوجه فأُرْزَق منه أم يبتدئ اللهُ في خلقه ابتداءً)[7] وهذا ينطوي على أنَّها (عليها السلام) لم تستبعد من قدرة الله تعالى في الخلق شيئاً[8], ومن هذا تتضح قوة إيمانها (عليها السلام) واستذكارها الدائم لله تعالى إذ أنها لو كانت غافلة عن ذكر الله تعالى لما صَدَّقَتْ رسول ربها بهذه السرعة وهذه البساطة[9], البساطة[9], ولَمَا جاءت طبيعة ردها عليه بهذا العمق الايماني, حيث يلاحظ فيه التصريح بقدرة بقدرة الله تعالى لأن أحد الاحتمالات التي طرحتها فيه هو أن يبتدي الله تعالى خلق ذلك الغلام

(1) الطبري، تفسير الطبري، 61/16.

(2) الطبري، تفسير الطبري، 67/17.

(3) سورة مريم/ الآية 19.

(4) عبد القادر أحمد عطا، مريم والمسيح، الطبعة الأولى، مكتبة التراث الإسلامي، مصر،40.

(5) سورة مريم/ الآية 20.

(6) الآلوسي، تفسير، 96/17.

(7) الطبري، تفسير الطبري، 62/16.

(8) القرطبي، تفسير القرطبي، 91/11.

(9) ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، 358/5 ؛ السيوطي، الدر المنثور، 227/8.

ابتداءً وبلا أسباب وما يؤكد ذلك هو مجيء الرد عليها من جنس ما دار في ذهنها في قوله تعالى على لسان الملك ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [1] أي (قال لها جبريل هكذا الأمر الأمر كما تصفين من إنَّكِ لم يمسسك بشر ولم تكوني باغية ولكن ربك قال هو عليّ هين أي خلق الغلام)[2]، ويلاحظ هنا مدى التفهم من قبل السيدة مريم العذراء(عليها السلام) لما جاء من من أجله رسول ربها، فضلاً عن تأكيدها لما تَدَّعيه من حصانة وعفة وسلامة من مسيس الرجال بكل أشكاله[3] ويكمل الملك الخبر للسيدة مريم (عليها السلام)وذلك في قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[4].

وينتهي حوار السيدة مريم العذراء(عليها السلام)مع الملك بأنْ اخبرها بأنَّ حملها لابنها عيسى (عليه السلام)هو أمر لابد منه وهو مما اشتمله علم الله تعالى وقدرته ويبدو انه لا يخلو من الإشارة إلى ان ما حصل لها من خوارق العادات من رزق وغيره من أشكال العناية الإلهية بها هي من الأمور المرتبطة بموضوع الحمل وتمهيداً له.

ولم يصرح القرآن الكريم بالكيفية التي حصل بها الحمل واكتفى بالتعبير عن ذلك بأنَّه نفخٌ في الفَرْجِ، وذلك في آيتين كريمتين هما قوله تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5] وقوله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[6]، ولا خلاف عند المسلمين في أنَّ النافخ هو جبريل (عليه السلام)بأمر من الله تعالى أي (أنَّ النفخ من جبريل والخلق من الله)[7].

ولعلماء المسلمين في مدة حمل السيدة مريم العذراء(عليها السلام) بابنها عيسى (عليه السلام)عدة أقوال: منها إنَّها (عليها السلام) وضعت بعد حصول الحمل من عملية النفخ مباشرة

---

(1) سورة مريم/ الآية 21.

(2) الطبري، تفسير الطبري، 62/16.

(3) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، 96/17.

(4) سورة مريم/ الآية 21.

(5) سورة الأنبياء/ الآية 91.

(6) سورة التحريم/ الآية 12.

(7) القرطبي، تفسير القرطبي،94/4 و8/12 ؛ ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير،591/1 ؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 430/1.

أي إنَّ الحمل لم يدم طويلاً [1] وكأنَّ أصحاب هذا القول استندوا إلى ظاهر الآية: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[2]، وقيل أنَّ مدة الحمل كانت بضع ساعات [3], ورواية أُخرى تذكر أنَّ مدة الحمل دامت ثمانية أشهر بإرادة إلهية [4], وأشهر الأقوال بهذا الخصوص هو إنها حملت كسائر النساء تسعة أشهر [5] وهذا هو الراجح كونه متعارفٌ عليه.

۞ المبحث الثامن:

مريم العذراء (عليها السلام) وولادة السيد المسيح عيسى(عليه السلام) وقيمها الأخلاقية:

بعد أنْ تحقق أمر الله تعالى وأصبحت السيدة مريم العذراء(عليها السلام)حاملاً بالطريقة والكيفية اللتين شاءهما الخالق سبحانه وتعالى، يأخذ الحدث إستمراريته على وفق ما أراد الله تعالى وَقَدَّر حتى إذا جاءت ساعة الولادة وهي المحنة الكبرى في حياة السيدة مريم العذراء(عليها السلام), ليكون هذا مثالاً من أروع الأمثلة على قدرة الله تعالى ورحمته اللتين لولاهما لكان الحال مختلف تماماً، فتاة وحيدة بلا أهل ، في مخاض عسير لوضع طفل حَمَلَتْ بِهِ خلافاً للعرف والعادة مما يحول دون مساندة من الناس، بين قوم أنكروا الروح إلاّ مَنْ رَحِمَ ربي وآمن بالله تعالى وكان من القلة بحيث لا يقوى على حمايتها من المتشككين واستنكارهم وما كان من السيدة مريم (عليها السلام) والحال هذه إلاّ الابتعاد عن أنظار الناس والانعزال والانفراد لتواجه قدرها وحيدة تعاني آلام النفس وأوجاع الطلق وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[6]، أي: فاعتزلت بالذي حملته وهو عيسى (عليه السلام) وتَنَحَّتْ بِهِ عن الناس مكاناً نائياً قاصياً عن الناس[7]، بتدبير الهي لتكون العبرة أبلغ، فعلى الرغم من عظمة الأمر فإنَّ

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 117/3.
(2) سورة مريم/ الآية 22.
(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 117/3.
(4) القرطبي، تفسير القرطبي، 99/11 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 117/3.
(5) القرطبي، تفسير القرطبي، 93/11 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 117/3.
(6) سورة مريم/ الآية 22.
(7) الطبري، تفسير الطبري، 63/16.

فـإنَّ شخصـيته المحوريـة التـي هـي السيدة مـريم العـذراء(عليها السـلام)لا يرجـى مـن مثلهـا إلا الضـعف فـي كـل شـي، إلا أنَّ رحمـة الله تعـالى وقدرتـه وحكمتـه قَلَبَتْ الموازين وَكَسَرَتْ مـا فـي أوهـام النـاس مـن أفكـار ظنـوا ألاّ مبدِّلَ لَهـا ولا مُغَيِّر، فتنفرد السيدة مـريم (عليهـا السـلام) ويبـدأ فيض الرحمـة الإلهيـة يغشاها تباعاً حيث يقول الله تعالى ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[1] تمنيها الموت دليل على شدة حيائها، لما في خلق الحياء من آثار طيبة في حياة الإنسان، فالإسلام ينظر إليه على أنه في طليعة الأخلاق الإسلامية لقول رسول الله (ﷺ) : "لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء" [2]، وحيث إنَّ وصف الحال هنا هو ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ يقول المفسرون أنَّـهُ من الاضطرار والإجبار[3] وأنَّ معناه (فجاء بها المخاض)[4] ،وبما ينبئ بما كانت عليه السيدة مريم (عليها السلام)من حيرة وألم المخاض الذي هو (الطلق وشدة الولادة وأوجاعها)[5], فتشبثت بجذع النخلة (والجذع ساق النخلة النخلة اليابسة في الصحراء الذي لا سعف عليه ولا غصن)[6] حتى دب فيها الضعف وكاد يفقدها صوابها وتمنت الموت في قوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[7], ويذهب المفسرون إلى أنَّ النَّسْي: أي إنَّها قصدت نسيان ذكرها واندثار أثرها وعينها [8], استحياءً استحياءً من الناس[9]، لإدراكها أنَّ هذه الولادة سوف تلاقي استنكار الناس ولن يحملوا أمرها فيه فيه على السداد, ولن يصدقوها فيما تدعى، وأنها بعد ما كانت معروفة بالنسك والعبادة فمن

---

(1) سورة مريم/ الآية 23.

(2) أنس؛ الإمام مالك : موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك، شرحه : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مصدر سابق، ج: 2، باب ما جاء في الحياء، ص212 .

(3) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 63/16 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 117/3.

(4) الطبري، تفسير الطبري، 63/16.

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، 92/11.

(6) القرطبي، تفسير القرطبي 92/11.

(7) سورة مريم/ الآية 23.

(8) الطبري، تفسير الطبري، 66/16.

(9) الطبري، تفسير الطبري، 66/16.

الصعب عليها بمكان أنْ يظن أنَّها باغية أو زانية[1] حاشاها, وفي هذه اللحظات تكون السيدة مريم (عليها السلام)وصلت قمة الشدة والامتحان اللذين من شأنهما أنْ يقطعا كل رجاء وأمل في الخلاص إلا من عمَّر اللهُ تعالى قلبه بالإيمان، وفي هذه الأجواء تضع حملها وليداً مباركاً وتنتهي مرحلة الحمل.

وتروي بعض المصادر أنَّها (عليها السلام) حين انتبذت واعتزلت الناس وهي حامل لم تكن بمفردها وإنما كان معها قريب لها يدعى (يوسف النجار) وإنَّه أوَّل من استنكر عليها حملها عندما علم بذلك ورأى علاماته، وقيل كانا معاً في أرض مصر أو في مكان آخر [2], ويبدو أنَّ هذه الرواية ضعيفة ولا تتطابق مع واقع الحال من عدة وجوه أولها: إنَّها (عليها السلام) لو كان معها احدٌ لما وُصِفَ حالها بالانفراد عن الناس، ثم لو كان معها ذلك الشخص أو غيره لَذُكِرَ في القرآن الكريم كشاهد على عناية الله تعالى بها بأنواع الرزق على الأقل، ولَكان له ذِكْر في سلسلة الأحداث التي تقدمت الولادة، وكذلك لكان لذُكِرَ في خبر عودتها إلى القوم وهي تحمل طفلها بعد الولادة، ويبدو أنَّ هذه الرواية لا تخلو من محاولة جر الشكوك والمطاعن على السيدة مريم (عليها السلام) من خلال الحديث عن اصطحابها رجل ليس بمحرم في خلوة هاربة من الناس بسبب قضية قابلة للتشكيك.

ولذلك فإنَّ واقع حال السيدة مريم (عليها السلام) يؤكد أنَّها انفردت لوحدها عن الناس وعاشت لحظات الطلق والولادة في مكان لا يبعد كثيرا عن المعبد، ويرجح العلماء إنَّه كان وادي بيت لحم[3]، وتفصح الرحمة الإلهية عن نفسها وفجأة يأتيها نداء الله عزّ وجلّ بأنْ لا تقنط ولا تيأس ولا تحزن بل لتستبشر فكل شيء من حولها ظنت انه موات بعث الله تعالى فيه الحياة.. الصحراء القاحلة أجرى فيها نهراً، وجذع النخلة اليابسة دبت فيه الحياة وناءت بحمل الثمر من طيب ما يؤكل وما يناسب حالها كنفساء، وذلك ما اخبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾, وبعد أنْ نوديت السيدة مريم (عليها السلام) هذا النداء العظيم أردف المنادي بان وجهها إلى أنْ تفيد من هذه النعم وذلك في

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 118/3.

(2) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، 16/ 63 ؛ تفسير ابن كثير، 117/3 ؛ تفسير القرطبي، 93/11.

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 117/3.

قوله تعالى ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[1], حيث يُلاحظ أنَّ الأمر بالإفادة لم يقف عند حدود الجانب المادي لهذه النعم بل تعداه إلى أنْ تسكن وتطمئن وتبدل حزنها فرحاً وقرة عينٍ[2] كخطوة أولى، أما الخطوة الثانية يوضح القرآن الكريم أن الملك الذي ظهر لها طلب منها الصوم عن الكلام والتوكل على الله تعالى فيما جرت به المقادير، وما عليها إلا أنْ تصمت ولا تجيب عن أي سؤال يوجه إليها من قبل القوم لأن الأمر تولاه الله تعالى وأنْ تكتفي بالإشارة لإفهام من يسألها بأنَّها صائمة عن الكلام[3], وهذا ما يخبر به قوله عز وجل ﴿فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[4], ويذهب المفسرون إلى أنَّ المراد من قوله تعالى ﴿فَقُولِي﴾ في هذه الآية الكريمة إنَّما هو بالإشارة وليس بالكلام [5] و(ليكونَ عذراً لها إذا سُئِلَتْ)[6].

وبهذه الطريقة البليغة يصور لنا القرآن الكريم وبعده الكتب الإسلامية الأخرى مستمدةً الحقيقة منه ولادة السيدة مريم العذراء(عليها السلام)نبي الله عيسى (عليه السلام), هذه الولادة التي يشهد كل شيء فيها على قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته بأعلى درجات البلاغة، حيث نرى الرحمة الإلهية تفيض فيضاناً في لحظةٍ يكاد ينقطع فيها الرجاء، ويُغْدِقَ الخالقُ سبحانه وتعالى العطاءَ والخيرَ على عبده من حيث لا يحتسب، وينقلب فيها الألم والضعف أملاً وقوةً وهكذا هي إرادة الله تبارك في علاه .

۞ المبحث التاسع:

حال السيدة مريم (عليها السلام)مع الناس بعد الولادة وقيمها الأخلاقية:

كَتَبَ اللهُ تعالى فيها للسيدة مَرْيَمَ العذراء(عليها السلام) التأييد والانتصار، فدواعي الضعف والوهن بدلها الله تعالى بأسباب قوة وثقة في نفس السيدة مريم العذراء(عليها السلام) بما

---

(1) سورة مريم/ الآية 26.
(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 118/3 ؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 399/1.
(3) السيوطي، تفسير الجلالين، 399/1.
(4) سورة مريم/الآية، 26.
(5) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 119/3.
(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 119/3.

يقطع يقينها بان ما يجري لها هو تدبير إلهي فلا خوف ولا ألم ولا حيرة بعد، وسبب الاتهام والتجريم من القوم أصبح عيناً بعد اثر فبعدما كان حملاً ممكناً إخفاؤه إلى حد ما أصبح رضيعاً محمولاً على الكتف، وفي خضم هذه المتناقضات تقتحم السيدة مريم العذراء عليها السلام الساحة وتشهر بوليدها دونما وجل حيث قال تعالى:﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[1] أي: (إنَّ مريم العذراء (عليها السلام) لما اطمأنتْ بما رأتْ من الآيات وعلمتْ أنَّ الله سبحانه وتعالى، سيبين عذرها أتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت انتبذتْ فيه)[2] وشتان ما بين حالها عند الذهاب حيث الخوف والحيرة وحالها عند الإياب من رباطة جأش وسرور بما خصها الله تعالى به من نِعَمٍ وقوَّةٍ، وعند وصولها تَفاجئ القوم وبدؤوا يستنكرون عليها ذلك[3] وأول مظاهر هذا الاستنكار ما جاء في قوله عز من قائل: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[4] أي: فلما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذي ولدته قالوا لها يا مريم لقد جئت بأمراَ عجيباً[5]، أي: إنَّ القوم استنكروا عليها أولاً الفعل بأنَّه بدعة سوءٍ عظيمةٍ مرفوضة، ثم أخذ استنكارهم شكلاً آخر وهو ما جاء في قوله تعالى على لسانهم:﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾[6] لتذكيرها بأنَّها من عائلة صالحة ونسب شريف ، أي: أنت من بيت طاهر فكيف صدر صدر هذا منك؟[7].

وعلى الرغم من تعاظم المحنة على السيدة مريم العذراء(عليها السلام) كونها أصبحتْ عرضة للشكوك، فإنَّها تجد نفسها أكثر قوة من ذي قبل ؛ لأنَّ لديها من الأدلة والبراهين ما يكفي

(1) سورة مريم/ الآية 27.

(2) الطبري، تفسير الطبري، 76/16؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 99/11 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 119/3؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 399/1.

(3) الطبري، تفسير الطبري، 76/16،القرطبي، تفسير القرطبي، 99/11 ، تفسير ابن كثير، 119/3 ؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 399/1.

(4) سورة مريم/ الآية 27.

(5) الطبري، تفسير الطبري، 76/16؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 99/11 ؛ تفسير ابن كثير، 119/3؛ السيوطي، تفسير الجلالين، 399/1.

(6) سورة مريم/ الآية 28.

(7) ابن كثير، تفسير لبن كثير، 119/3.

لإثبات براءتها, وما كان منها إلا أنْ سككت واطمأنت وامتثلت للأمر عندما وجبت عليها الإجابة، [1], قال تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[2] بمعنى إنَّها أحالت الكلام إلى وليدها ثقة منها بأنَّ الله تعالى سَيُظْهِرَ لهم براءتها[3] كما أُخْبِرَتْ سابقاً عند المخاض، ويروى أنَّ القوم استاؤوا وزاد غضبهم عليها ظناً منهم إنَّها (عليها السلام) تسخر منهم وقالوا: (لَسُخْرِيَّتِها بنا حين تأمرنا أنْ نكلم هذا الصبي أعظم علينا من زناها)[4], فأجرى الله تعالى على لسان المسيح (عليه السلام) وهو ما يزال في المهد صبياً، ما يثبت أنه عبد الله ونبي ورسول من عند الله وأن أُمه السيدة مريم (عليها السلام)بريئة من الوقوع في الخطيئة بدليل وصاية الله له ببرها، وفجأةً بأمر الله تكلم المولود وذلك ما جاء في الآيات القرآنية الآتية:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[5] فَدُهِشَ القوم وقالوا: (إنَّ هذا لأمر عظيم)[6], ويرجح العلماء أنَّ عيسى عليه السلام لم يتكلم قبل هذه المرة [7], وعلى الرغم مما ذهب إليه بعض المفسرين من أنَّ كلام عيسى (عليه السلام) في المهد كان معجزة خاصة به[8] فهذا لا يمنع من أنْ يكون فيه قَدْر كافٍ من التأييد لامه عليها السلام لإثبات براءتها ومصداقاً لدعواها من حيث تزامنه مع إشارتها إليه (عليه السلام)بأنْ يكلموه، وكون كلامه بياناً لحاله ولحال أمه عليها السلام ومالها من درجة رفيعة ومكانة عالية عند الله تعالى وهذا بحد ذاته كافٍ لنفي أية شبهة أو شك يوجه

---

(1) الطبري، تفسير الطبري، 59/16 ؛ الماوردي، النكت والعيون،524/2.
(2) سورة مريم/ الآية 29.
(3) الطبري، تفسير الطبري، 59/16 ؛ الماوردي، النكت والعيون، 524/2.
(4) الطبري، تفسير الطبري، 60/16 ؛ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، 522/2.
(5) سورة مريم/ الآيات 30 33.
(6) الطبري، تفسير الطبري، 60/16؛ ينظر: تفسير النسفي، 34/3.
(7) الطبري، تفسير الطبري، 60/16 ؛ الزمخشري، تفسير الكشاف، 15/2.
(8) الماوردي، النكت والعيون، 522/2 ؛ الزمخشري، تفسير الكشاف، 34/3.

لها (عليها السلام)[1]، وهذه الآية أيضاً تؤكد على بر السيد المسيح (عليه السلام) بأُمه ففيها قيم أخلاقية من خلال الوصية ببر الوالدين.

ويؤكد العلماء أن عيسى (عليه السلام) بدأ بنفي الشبهة عن الخالق تعالى كونه أولى من نفي الشبهة عن امرأة مخلوقة [2] في قوله تعالى على لسانه:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[3] في إشارة إلى ما سيئول إليه أمر من غالى به وَعَدَّهُ ابن الله تعالى [4], [4], ثم سرده لحقيقة حاله كبشر من خلال ما يترتب عليه من واجبات الصلاة والصوم وبر الوالدين، وما يجب أن يكون عليه من صفات من التواضع وانه ولد وسيموت وسيبعث يوم القيامة كغيره من العباد [5], وبالتالي فإنَّ من يتكلم في مهده وبهذا العمق والبركة الإلهية فلاشك فلاشك في إنَّه مولود لأُمٍ بريئة من كل دنس، وهكذا هي بلاغة القرآن الكريم فقد صرحت هذه الآيات الكريمة بوحدانية الخالق ونفت أنْ تكون له صاحبة ولا ولد، وأشارت ضمناً إلى صدق دعوى السيدة مريم العذراء (عليها السلام) وبراءتها من كل دنس.

حظيت السيدة مريم العذراء(عليها السلام) بمكانة عالية ومنزلة رفيعة في المصادر الإسلامية، فقد وصفها الله تعالى في كتابه القرآن الكريم بأشرف الأوصاف وأدنى منازل القرب منه تعالى، ومنها الاصطفاء وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[6], والاصطفاء في اللغة: هو الاختيار وهو افتعال من الصفوة[7].

---

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير، 209/21.

(2) الماوردي، النكت والعيون، 522/2.

(3) سورة مريم/ الآية 30.

(4) الماوردي النكت والعيون، 525/2.

(5) القرطبي، تفسير القرطبي، 103/11 ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، 120/3.

(6) سورة آل عمران/ الآية 42.

(7) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، 163/7؛ ابن منظور، لسان العرب، 14/ 463؛ الجرجاني الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، 175/1، الطبعة 1، بيروت، 1405هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ومحمد عبد الرؤوف المناوي، كتاب التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، الطبعة 1، بيروت: 1410هـ، 1/ 69.

وتكرر ذلك في عدد من المواضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾[2] ومن هذه الآيات الكريمة يثبت أنَّ الله تعالى اصطفى واختار السيدة مريم (عليها السلام)، وأنَّ ملائكته (عز وجل) كلمتها شفاها وصراحة وهذه من الميزات التي لا يحظى بها إلا ذوي الدرجات الرفيعة والمكانة العالية وفاز بالقرب من الله تعالى, وعلى ما تقدم يَسْتَنِدُ علماء المسلمين في إعطاء السيدة مريم العذراء (عليها السلام) حقها في علو الشأن والمكانة.

۞ الاستنتاجات والتوصيات :

الحمد لله وحده , فبفضله تعالى وتوفيقه تم إكمال كتابة هذا البحث.

وفي الختام وبعد جولتنا في هذه المباحث ومعرفتنا بأهمية القيم الأخلاقية والحضارية في سيرة السيدة مريم العذراء (عليها السلام) في المصادر الإسلامية، جدير بنا أن نحرص كل الحرص على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، ويجب التركيز على موضوع الأخلاق في كافة مجالات الحياة وفي الخطب والمحاضرات. والتعرف على حقيقة وواقع حضارة أمتنا الإسلامية العالمية بأخلاقها وآدابها، وما لها من آثار اجتماعية، ولابد من توطين المثل الأخلاقية التي تمتد جذورها وأعماقها إلى العقيدة الإسلامية.

وإذا شئنا أن نرسخ القيم الأخلاقية التي نتطلع إليها، لم يكن لنا بد من أن نصل حاضرنا بماضينا. فالبحث قدم رؤية ومشروعاً لتفعيل القيم الأخلاقية في المجتمع، وقدم أنموذجاً حضارياً إنسانياً عبر عن رؤية إسلامية واضحة. وترسيخاً للمنظور الإسلامي.

وقد تبين من خلال هذا البحث ان المصادر الإسلامية اهتمت بسيرة السيدة مريم (عليها السلام) فالقرآن الكريم أشاد بسيرتها كثيراً ، وهي من أهم الشخصيات التي ذكرت فيه, ودليل على مكانتها العالية في القرآن الكريم فقد ذُكرت باسمها الصريح دون غيرها من النساء, وأَفْرَدَ لها سورة سميت باسمها (سورة مريم) تحكي معظم تفاصيل قصتها.

---

(1) سورة آل عمران/ 42، 43.

(2) سورة آل عمران/ 45.

ولما ذكر الله تعالى قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى (عليهما السلام)، وهي من القصص العجيبة، انتقل إلى ما هو أعجب منها، قال سبحانه وتعالى واذكر في الكتاب مريم، وهذا من أعظم فضائلها أن تذكر في القرآن الكريم الذي يتلوه المسلمون في كل مكان من العالم، فتذكر فيه بأحسن الذكر والثناء. تدل على مكانة السيدة مريم (عليها السلام) الرفيعة السامية عند الله تعالى وتحتوي على كثير من العبر التربوية والقيم الأخلاقية.

تطرق القرآن الكريم وسائر المصادر الإسلامية إلى ولادة السيدة مريم (عليها السلام) بالتفصيل , حيث يتبين روعة الحدث وما تخلله من إعجازٍ إلهي وبركة ربانية، وجعلها وابنها (عليهما السلام) آية للعالمين.

يذكر القرآن الكريم للسيدة مريم (عليها السلام) الكثير من الصفات الحميدة والأخلاق السامية ومن أهمها العفة المطلقة, ويقر لها صراحة بان الله تعالى طَهَّرَها واصطفاها على نساء العالمين.

وتبين لنا من خلال هذا البحث كيف أن الله كافأ السيدة مريم العذراء (عليها السلام)، على عفتها؛ أن رزقها ولداً وهو النبي عيسى (عليه السلام)، أرسله إلى بني إسرائيل ليدلهم على طريق الخير والهداية وآتاه الإنجيل هدى ونور.

ومن العبر المهمة المتعلقة بالقيم الأخلاقية بر الوالدين، فقد أوصى الله تعالى النبي عيسى (عليه السلام) ببر والدته والإحسان إليها، لرضاها وصبرها على تحمل المشاق وألم الحمل والوضع من أجله، وهذا ما يحفزنا على بر الوالدين لا سيما الأُم

والقيم الأخلاقية شرعة ضرورية للإنسان وأن للقيم الأخلاقية الفاضلة أهمية عظمى في حياة الفرد والمجتمع، وعليه يجب أن تعتمد في التنشئة الأسرية، حيث تغرس الأخلاق والحياء في سلوك الأبناء ، وبدون القيم الأخلاقية يصبح الفرد عديم الخير والفائدة ، وان الأخلاق في الإسلام هي التطبيق الحقيقي والفعلي للدين فهي تنظم علاقة المسلم بخالقه سبحانه أولاً من حبه سبحانه ، والحياء منه ، والصدق معه وغير ذلك، كما أنها تنظم تعامله مع الآخرين ممتثلاُ في ذلك أوامر دينه بالتحلي بأعالي الأخلاق ورفيع القيم من حياء، وتواضع، وأمانة ، وصبر، ووفاء ، وكرم ، وتسامح، وعفو، وإيثار وغيرها من القيم الأخلاقية، ألتي أمر الإسلام بها.

والمقصـود بـالقيم الحضـارية فـي هـذا البحـث المعـايير والمـوازين الموجهـة للفعـل الأخلاقـي الحضاري، وفق رؤية الإسلام ومقاصده.

وعليه يجب الاهتمام والعناية بدراسة الشخصيات من السلف الصالح التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، لعظم شأنهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، فالحديث عنهم يحمل في طياته الكثير من معاني الفخر والاعتزاز بأخلاقهم فشبابنا وبناتنا اليوم بأمس الحاجة لاطلاع على سير تلك الشخصيات ليحذوا حذوهم.

ومن الله التوفيق

References:

- Abin Faris, Muejam Maqayis AlLughati, alqahirat 1366hi, 1600.

- Abin Kathir, Tarikh AlRusul Walmuluka, Tahqiqu: Muhamad 'Abu alfadl abrahim, birut, 1967, 950 .

- Abn Kathir, Tafsir AlQuran AlEazimi, dar sadir, birut, 1985, 1600 .

- AlBidayat Walnihayatu, Abn Kathir, Matbaeat AlSaeadat , misr , 1932m , 1600 .

- AlIastieab Fi Maerifat Al'Ashabi, Tahqiqu:eali Muhamad AlBajawi, dar aljili, bayrut 1412, 650 .

- Altabri, Jamie AlBayan Fi Tafsir AlQurani, Masr: 1328hi, 1200 .

- Eumar Rida Kahalati, 'Aelam AlNisa'i, Dimashqa, 1359, 1450.

- Muhamad Eabd AlFataah AlKhutibi, AlQim AlHadariat Fi Al'Iislami, alqahirati: 2011, 310 .

- Muhamad Hamayd AlLah Majmueat AlWathayiq AlSiyasiat Fi AlEahd AlNabawii Walkhilafat AlRaashidat , dar al'iirshadi, bayrut, 1969m ,; alrahiq almakhtumi 2010,333.

- Muhamad Zakariaa AlKandihlawiu : 'Awjaz AlMasalik Limuataa Malka, dar alfikri, bayrut lubnan: 1980, 469 .

- Nasir AlDiyn AlBaydawi, 'Anwar AlTanzil Wa'asrar AlTaawili, bayrut, 1988, 1800 .

Ethical and Cultural Values in the Biography of Virgin Marry (PBUH) in the Islamic References

Aydah Muhammed Obeid*

Abstract

The Almighty Allah has sent prophet Muhammed (PBUH) and sent down the holly qur'an to be a clear evidence that this prophet supports and believes in the messengers and the divine books sent down before him. In this prospect, Islam honours significantly the Virgin Marry (PBUH), and all muslims believe profoundly in what is mentioned in the glorious qur'an about Virgin Marry and her son the prophet I'esa (Jesus) (PBUH).

In this paper, it is aimed at showing and clarifying the ethical and cultural values in the biography of Virgin Marry (PBUH) according to the Islamic references.

* Prof. Asst. / Department of History / College of Arts / University of Mosul.

Ethical values represent the exalted virtues in all human civilizations that have different cultures and beliefs during the whole history of humanity. Since the culture of Islam is universal, Islamic references have been interesting greatly in the ethical and cultural values of the biography of Virgin Marry (PBUH). The Islamic history is rich in the sense that it communicates with other civilizations
This paper was divided into several topics that dealt with all the details of her life(PBUH) which were mentioned in Islamic sources.
Key words : civilization؛ Purity؛ Love